المكتبة القبطية على الانترنت

http://copticlibrary.110mb.com

مطرانية ملوى وانصنا والأشمونين

الجنس مقدساً

كتيب للشباب

بقلم
نيافة الأنبا بيمن
أسقف ملوى

مطرانية ملوي وإنصنا والاشمونين
تقـدم

الجنس مقَدساً

كتيب للشباب
تأليف وإعداد
نيافة الأنبا بيمن
أسقف ملوي وتوابعها

اسم الكتاب : الجنس مقدساً
اسم الناشر : كنيسة السيدة العذراء بالفجالة
اسم المؤلف : نيافة الأنبا يحنس
اسم المطبعة : **دار الجيل للطباعة**
رقم الإيداع : ٤٨١١ لسنة ١٩٨٣
الطبعة : الأولى
تاريخ الطبعة : ١٩٨٣
الصور والرسوم : تصميم الدكتور المهندس نبيل شكري

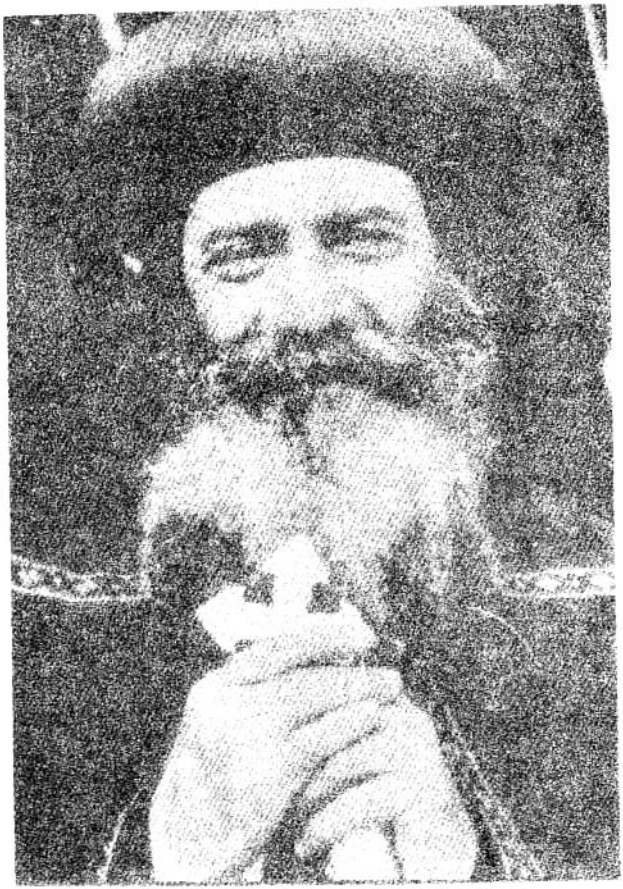

البابا شنودة الثالث

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وتخومها

المحتوى

مقدمة ٩

١ــ الزواج والأسرة ١١

هدف الأسرة

الحب الزيجي ١٧

الثقة والوقار فى الاسرة ٢٥

البتولية امتداد مقدس ٢٧

٢ــ الإنجاب وبداية الحياة ٣٣

ذخيرة الحياة ٣٨

البذار الحية ٤١

طور المراهقة ٤٣

نقل الحياة ٤٤

٣ــ سمات الدافع الجنسي في الإنسان ٤٩

الحيوية المضبوطة ٥١

العواطف الراقية ٥٧

انحرافات الجنس ٦١

٤ــ حياة الطهارة ٧١
معناها ٧٣
لماذا أحيا طاهراً ؟ ٧٥
كيف أحيا طاهراً ؟ ٨١
تداريب عملية ٨٥

المراجع

كتب أخرى للمؤلف ٩٤

مقدمـــة

يعالج هذا الكتيب قضية هامة تواجه الشباب وخاصة في هذا العصر .. انه يطرح قضية الجنس من منظار مسيحي ، يقدمها بأسلوب تتكامل فيه الجوانب الروحية مع البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية .. فهذه النظرة الشمولية هي ما يحتاجه الشاب الآن في مواجهة قضاياه المعاصرة ..

والكتاب يبدأ رحلة الحياة منذ بداية تكوين الأسرة ، ويقدم مفهوم الأسرة من خلال الإنجيل المعاش ، ثم تمتد الدراسة لتقدم بداية الحياة الجسدية كثمرة من ثمار الحب العائلي .. وإذ أن المعالجة جريئة لتوضح ما يخشى الوالدان في خجل غير سليم أن يقولوه لأولادهم ، إلّا أن الدراسة تثري المعرفة ولكن دون إثارة أو تحرر أو استباحة .

وبعد أن يمر الكتاب سريعاً على موضوع الإنجاب وبداية الحياة يوضح معالم الدافع الجنسي عند الإنسان .. يشرحه إنسانياً ومسيحياً .. فيتعرض لسمو هذا الدافع الإنساني وارتباطه صميمياً بالحب الصادق والنزعة إلى الشركة وذوبان الفردية . وأما الإنحرافات التي قد يتعرض لها تيار هذه الغريزة فقد قدمت في إيجاز وتحذير دون

إرهاب ديني . ولما كانت حياة الطهارة والعفة ونقاوة القلب هي الطريق الوحيد للحياة الجنسية كما أرادها الله في النموذج الذي خلق في الجنة ، وفي تعاليمه المباركة بعد تجسده ووجوده بيننا كإنسان مثلنا في كل شيء فيما عدا الخطيئة وحدها .. ولما كانت هذه الحياة هي الهدف والوسيلة معاً المعاناة والخلاص من العزلة معاً فإن الكتاب يفرد لها فصلاً مستقلاً . ليسمح الله أن يقدس شبابنا من كل دنس الجسد والروح ليعيشوا حسب الروح وليس حسب الجسد . للثالوث القدوس المجد والإكرام . آمين .

أولاً ــ الزواج والأسرة

لماذا خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى ؟

لعلك عندما قرأت هذه الكلمات في الأصحاح الأول من سفر التكوين « فخلق الله الإنسان على صورة الله . على صورته خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم » (آية ٢٧) ، سألت نفسك لماذا خلق الله الإنسان هكذا ذكراً وأنثى ؟ . ولكن ما أن تتابع قراءتك للإصحاح الثاني حتى تجد الإجابة .. إن آدم كان في الجنة وحيداً ، لم تسعده الألفة مع الحيوانات أو كافة المخلوقات المادية التي خلقها الله له .. ويعبر الكتاب عن هذا بالقول « ليس جيداً أن يوجد آدم وحده » (تك ١٨:٢) ؛ « وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره » .. « فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ؛ فأخذ واحدة من أضلاعه ، وملأ مكانها لحماً ، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة وأحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي .. هذه تدعى إمرأة لأنها من إمرء أخذت .. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً » (تك ٢٠:٢ــ٢٥) .

فيتضح إذن القصد الإلهي أن الأنوثة تصنع شركة ووحدة مع الذكورة .. وفي هذا التكامل تصبح الحياة بهيجة ، إذ يرى الرجل في

« الزواج المقدس هو سر الحب »

إمرأته ما لا يجده في نفسه فلا تكون البشرية نسخة واحدة متكررة من آدم ، بل يكون هناك الرجل وتكون هناك المرأة ..

إن آدم شعر بفائدة خلقة حواء له ، وأنها توافقه كل الموافقة ، وهو يتوافق معها كل الإتساق والموافقة . ولاحظ أن بعض ما ينقصه كان موجوداً في رفيقته حواء ؛ وبعض ما ينقصها هي قد أحرزه في كيانه ؛ فقد قسّم الله بينهما مواهبه .. وهكذا يكمّل الواحد الآخر ، وفي وحدتهما تجتمع ثروة بشرية كاملة ومنسجمة ..

وتقسيم المواهب الإلهية على كليهما هي إحدى معجزات خلق الإنسان ؛ فجسم الرجل يختلف عن جسم المرأة في تركيبه وبعض أعضائه ، ولهذا يُقبل الرجال عموماً على الأعمال الخشنة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كالبناء والنجارة والحدادة والاشغال المتعبة في الخارج ؛ بينما المرأة يتفق تكوينها عموماً مع المهام المنزلية ورعاية الأطفال والعناية بالشئون الشخصية الفردية ــ وإن كان عصرنا هذا قد غيَّر الكثير من هذه النواميس الطبيعية ..

وهكذا إذ يجتمع الحنو مع الشدة ، والبأس مع الرقة يحدث الإنسجام المذهل في الحياة البشرية ..

وهكذا تصبح الحياة أيضاً جميلة عندما يلتقي الرجل والمرأة على صعيد الحب والحياة الزوجية ، إذ يتبادلان التشجيعات وبذل

الذات ، ويتحابان ويرتبطان بسر الزيجة المقدس ، لتكون حياتهما مملكة مقدسة للرب على الأرض .

« يبارك الرب العرس كما بارك في قانا الجليل »

ملكوت الله في الأسرة المقدسة :

لعلك حضرت عرساً ، وشاهدت صلاة الإكليل في الكنيسة . إن الصلوات التي تسمعها كلها تشير إلى أن الأسرة في قصد الله تعني كنيسة صغيرة وطريقاً إلى الملكوت .. لهذا يضع الكاهن على رأسي العروسين الأكاليل .. لأن الإكليل هو إشارة إلى الملك . فأكاليل الزواج تشير إلى بداية تأسيس مملكة صغيرة هي عربون الملكوت السماوي الأبدي . وإذا كنت ترى بعض المسيحين حالياً قد أفرغوا الأسرة من هذا المضمون ، وصارت حياتهم العالمية دنيوية خالية من الحضور الإلهي وليست ساعية إلى الملكوت ، فإن هذه هي الخطيئة التي تشابه الخيانة الزوجية .. ..

+ **ما أسمى نظرة كنيستنا إلى سر الزيجة** .. انها تعتبره حياة مقدسة ، وصلواته صلوات روحانية يحل فيها الرب يسوع بروحه القدوس مع ملائكته وقديسيه وعلى رأسهم العذراء مريم الذين شاركوا جميعاً في عرس قانا الجليل .. إنهم يشرفون ليشاركوا أعضاء الكنيسة افراحهم ومشاعرهم ويعطي الرب بنفسه وبروحه القدوس بركة قانا الجليل للعروسين .

+ **ما أرق هذا !! وما أقدسه !!** وما أبعده عن المفهوم الدنيوي السائد في هذا العالم تجاه هذا السر !! وما أروع طقس الكنيسة في ليتورجية الزواج عندما تختم صلواتها بالتقديس على هذا الحب

الذي جمع العروسين . إنها تقرأ كلمات بولس الرسول الذي يشبهّ العلاقة بين الزوجين بعلاقة المسيح والكنيسة .. ثم هي تؤكد أن الذي ألَّف القلبين هو الروح القدس نفسه الذي يشبه العازف الذي يصنع من الأوتار المختلفة نغماً ملائكياً ولحناً سمائياً وسيمفونية إلهية .. هذا هو موضوع اللحن الذي يرتله الشمامسة بعد الإنجيل « هؤلاء الذين الفَّهم الروح القدس معاً مثل قيثارة يسبحون الله كل حين بمزامير وتسابيح وتماجيد روحية النهار والليل بقلب لا يسكت » ثم تصلي أيضاً كي يبارك الرب مضجعهما « إطلع على عبيدك .. ثبت اتصالهما . احرس مضجعهما نقياً . استرهما مع بيتهما بيمينك .. إحفظهما بإمتزاج واحد وسلام . هب لهما فرحاً وسروراً ليظهرا لك يا الله الحي ثمرة الحياة من البطن » .

الحب الزيجي :

لعلك شاهدت يوماً منظراً إنطبع بعمق في ذاكرتك عندما رأيت زوجين حديثي الزواج ، وقد انفردا معاً في جلسة هادئة أو نزهة لطيفة .. أو آخرين قد مضى على زواجهما سنيناً طويلة وأحدهما يؤنس الآخر ويلاطفه في ضيقة يمر بها .. بل وأحياناً يجلسان معاً في هدوء وصمت ولكن سر الحب يشع من قلبيهما لأن زمان الكلام قد انتهى وبقي لهيب الحب الإلهي الزوجي سعيراً ملتهباً لم تستطع أحداث الحياة وهموم الدنيا وتحديات الأيام أن تجعله يخبو أو تنطفيء جذوته ..

إن الحب الطاهر بين الرجل والمرأة لهو سر من الأسرار العجيبة التي خلقها الله في حياة الإنسان . إنه سعادة الإنسان ودفء له وسط ثلوج الحياة المتراكمة .. إنها متعته وسط هموم الدنيا أتعابها ..

كيف يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً ؟! .. إنه معنى عميق فيه الإنتقاء والإلتقاء والشركة . لقد انتقاها وأحبها والتزم بها ، وصنع معها وحدة زيجية تفيض حباً وفرحاً .. لهذا قال الكتاب إن الله خلق الإنسان على صورته ، فمع

« ألَّفهم الروح كقيثارة ليسبحوا الله كل حين »

أن الله ليس ثلاثة أشخاص منفصلة ، ولكنه ثلاثة أقانيم متحدة في جوهر واحد ، ومن خلال هذه الشركة يحيا الآب مع الكلمة الابن والروح القدس في ألفة المحبة الإلهية التي تعلو على كل إدراك وقياس . هكذا الإنسان مخلوق على نفس الصورة ــ مع الفارق الشديد ــ إذ أن سعادته لا تكتمل إلا في جو من الشركة مع الآخر .

فعندما يشب الطفل ويجد أباه وأمه واحداً في الروح والفكر والقلب والاهتمام يفهم شيئاً عن محبة الله ويدرك شيئاً من قصد الله في تكوين الأسرة . **إن الطفل لا ينمو بلبن الرضاعة فقط** بل بحليب الحنان والحب .. لا يشبعه ما يدخل جوفه من خلال فمه فقط بل ينتعش أكثر من خلال قبلات والديه وابتساماتهم وصدرهم المملوء حناناً وحباً وفرحاً بوجوده ..

نعم ، في الأسرة يقتني الطفل اختباراته الأولى في الحياة ، إنها خبرة الحب العظيم والتفاني الدائم .. وهذه هي الهدية العظيمة التي ينعم بها الله على الأطفال ، كما أن الأطفال أنفسهم هم هدية الله للوالدين ، لأنه فيهم يلتقي القلبان وتتحد الافئدة والأرواح وتتدعم الشركة والوحدة ويلتهب الحب بالنار التي ألقاها الرب على الأرض وأرادها أن تضطرم ..

« الأسرة أيقونة الكنيسة »

هيا بنا لتلمس في داخلك أثر هذا الحب الزيجي الذي غرسه الله في قلب كل إنسان ..

+ **قد لا تشعر في هذا السن** الذي أنت فيه بإحساس خاص تجاه شخص من الجنس الآخر إما لنظرتك الطاهرة في التعامل مع الجميع منهم ؛ وقوة إرادتك في عدم الإستهواء لأحد ، أو لعدم تواجد الفرص للتعامل معهم .. لا تنزعج لهذا .. إنه شيء طيب ..

+ **ولكني أريد أن أقول للبعض الذي بدأ يحس بتعلق عاطفي ، إن هذا الذي نبت في داخله ليس هو الثمرة الناضجة التي ينبغي أكلها وذلك لأسباب ينبغي أن نطرحها للبحث والمناقشة بوضوح ..**

● إننا نسأل هذا الفتى أو تلك الفتاة : **ما هي المقاييس** التي بنيت عليها إعجابك بالشخص الآخر ؟! إنها غالباً ما تكون مقاييس سطحية ليست هي التي على أساسها يختار الشخص الناضج شريك حياته .. ما أدراك بطباع تلك الفتاة ذات الملامح الجميلة ؟! وماذا تعرفين عن شخصية ذلك الفتى ذي الجسم المتناسق والوجه الوسيم ؟!

● بل أريد أن أقول أكثر من هذا ، إنه حتى لو كان إعجابك

بالشخصية تجاوز حد السمات الجسمية والعاطفية وكان إعجاباً عميقاً ؛ **فأنت لا تعرف إن كان سيظل هذا الإعجاب قوياً** ومستمراً مع مرور الزمن وتغير الظروف والأحوال الخارجية والداخلية حتى يأتي سن الزواج الذي يتأخر بتعقد الحياة والظروف الاقتصادية والاجتماعية والعلمية المتلاحقة .

● **ثم أنت تتغير داخلياً** حسبما يؤكد رجال علم النفس ، فلكل مرحلة نمو سيكولوجيتها وسماتها ، فما كنت تختاره من ملابس في المرحلة الثانوية ترفض أن ترتدية وأنت على أعتاب نهاية المرحلة الجامعية .. فما يروق لك اليوم يتطور وينمو ويتعدل ، خاصة إذا كان النمو النفسي والروحي طبيعياً لا إنحراف فيه .. إنها مرحلة لابد أن تنمو فيها مفاهيمك ومقاييس إعجابك بالأمور . فهل من الحكمة أن ترتبط منذ الآن بشخص لمدة سنوات طويلة لا تعلم ماذا سيصادفك فيها من خبرات وتحديات ؟!

● **بل وحتى إن افترضنا ثباتك على رأيك طوال السنوات القادمة فسوف يكون الوضع أسوأ** . فماذا تتوقع أن يكون حال عواطفك خلال هذه الفترة ؟! إنها مشاعر وهانة ، ولو افترضنا نموها ، فإن هذا النمو سيكون نوعاً من الإحتراق الداخلي وتعذيب النفس ، هذا على أحسن الاحتمالات ، إذ من الممكن أن يقود

هذا للزنا وممارسة العادات الجنسية المنحرفة .

+ إذا حتى لو إحساسك بالآخر ظاهرة غير نجسة فإنه من الأفضل للطرفين أن يكبحا جماح نفسيهما .. لا تبح سرك لأحد إلا لأب اعترافك كي يصلي من أجلك لكي يرفع الرب عنك الحرب أو يمنحك الإرادة لتصبر حتى تنضج وتأتي الساعة المعينة من الرب لتحقيق شركة الحب الزيجي . فاحرص على ألا تختلي بالآخر ولا تلعب بعواطفه وتثيرها لئلا تعثره وتعثر نفسك أيضاً . سلم هذه الطاقة المقدسة للرب واستودعها في يد راعي الرعاة الأعظم الذي يدبر حياتك ويعرف الصالح ويمنحه في حينه الحسن . إنه يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح .. طوبى لمن آمن وسلم حياته لمن بيده مفاتيح الحياة ..

+ لقد تسلم لنا من الآباء أن الحب الزوجي ليس نوعاً من الغراميات ؛ إنه حب واقعي روحي ملتزم . وهو حب طاهر لا يتجه إلى الجسد وحده ليتلهى به ويلتذ ، وإنما يلتقي بالآخر على مستوى الشخص كله بكيانه الروحي والنفسي والعاطفي والفكري والجسدي .. وهو حب نامي يبدأ حاراً في الخطوبة السعيدة ولا تطفئه إحباطات الحياة ومصادمات الشركة واختلافات الطباع والأفكار . بل هو حب يتجاوز كل هذه الصعاب لأنه حب إلهي باذل على مثال حب المسيح للكنيسة ،

فهو حب يتأنى ويترفق ويصبر ويحتمل . إنه حب لا يسقط أبداً . لأن حباً امكن أن ينتهي ما كان حباً يوماً .. وهو حب عميق يجد في اتحاد الجسدين تعبيراً عما في الداخل . إنه لغة ووسيلة وصال .. وإن تعذر اللقاء الجسدي لظروف طارئة في الحياة الزوجية كالسفر لبعثة أو المرض مدة ، فإن هذا لا يهدد الوحدة لأن الحب ليس هو الجنس بل إن الجنس هو تعبير عن الحب .

إن هذا لا يهدد الوحدة الصادقة لأن « ما جمعه الله لا يفرقه إنسان » ..

الثقة والوقار في الأسرة :

وتحمل الحياة العائلية المسيحية طابع الثقة الكاملة ، فالرجل يكرس حياته من أجل زوجته ، والمرأة تقدس كيانها كله لأجل زوجها .. فلا خيانة في نظرات شريرة ، أو النطق بكلمات دنسة خارج أو داخل البيت ، ولا علاقات مريبة أو منادمات أو إعجاب في طياته بدايات خيانة أو جرح أو شرخ للوحدة المقدسة التي أقامها الروح القدس في سر الزيجة المقدس ..

فكما أن المسيح ــ له المجد ــ قدس ذاته لأجل كنيسته ، هكذا الرجل لأجل أسرته ، وكما أن الكنيسة عروس مكرسة لعريسها التي اشتراها بدمه الثمين على الصليب ، هكذا المرأة تنظر إلى حياتها العائلية من هذا المنظار .

ويتسم البيت المسيحي بالإحترام والحشمة ، فهو يرفض الاغاني والتمثيليات الهابطة والنكات والألفاظ البذيئة .

+ لهذا تجد الصلوات المرفوعة على المذبح العائلي ..

+ وتلحظ الأصوام والمطانيات وتلاوة المزامير ..

+ وتدوم مطالعة سير القديسين واختبارات الآباء الأولين .

+ وتعمل التماجيد للشهداء والنساك ويتشفع أهل البيت بصلواتهم .

ويتضرعون إلى الله أن يرسل ملاكه ليحفظ البيت من كل شر وغم وحزن رديء ..

هذه كلها تضفي على الأسرة مسحة روحية وطابعاً وقوراً يجعل البيت قلعة مضيئة وسط ضباب الحياة وأمواجها المضطربة ومبادئها المتصارعة والهدامة والمنحلة . ولعلك تلحظ أيضاً طابع الحشمة عند الزوجين حتى داخل البيت نفسه الذي لا تعلو فيه الأصوات ، ولا تحتد المناقشات ، وإنما يسوده الهدوء المقدس الذي يشجع على عمق العبادة وصفاء التفكير والدراسة والتحصيل .. إنك عندما تخطو عتبة بيت مسيحي مليء بالحب والقداسة والوقار تشعر يقيناً أنك في هيكل مقدس ومملكة للرب على الأرض في هذا العالم الهابط .

البتولية إمتداد مقدس :

+ وإذا كان الحب الزيجي مباركاً إلى هذا الحد !

+ وإذا كانت الحياة الزوجية الطاهرة شبه كنيسة مقدسة !

+ وإذا كانت العلاقات الزوجية قد تقدست بعمل النعمة في السر المقدس وفاعلية الروح القدس !

فلماذا إذاً الرهبان والراهبات ؟

ولماذا البتوليون الذين لا يتزوجون ؟

الجسديون ينظرون إلى هؤلاء على أنهم شواذ أو غير طبيعين ، والبعض ينظر إليهم على أنهم خارجون عن خط الحياة العامة .. أو أنهم قد صدموا عاطفياً أو نفسياً أو اجتماعياً ..

هؤلاء جميعاً مخطئون

إسمع إشعياء النبي بروح النبوة يقول « ولا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة ، لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي ، إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نصيباً وإسماً أفضل من البنين والبنات ، أعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع » (إش ٥٦ : ٣ــ٥) .

لا نعجب أن نجد أناساً امتلأت قلوبهم حباً للمسيح فرفضوا أن ينشغلوا بآخر سواه .. صار هو عريسهم الوحيد ودخلوا في خطبة مقدسة دائمة معه .. عاشوا في هيام الحب الإلهي مفضلين إياه بالأحرى عن الحب الزيجي والحب العائلي والحب البشري بكافة صوره . كرسوا حياتهم لحفظ وصاياه ومناجاته الليل والنهار .. يقول القديس أنطونيوس عن حياة البتولية « إنها الذبيحة الروحانية المقدسة وهي البشارة والحياة التي تظهر السرائر الخفية منذ الدهور والأجيال كلها » ويؤكد بولس الرسول كيف أن البتولية امتداد أفضل بقوله « غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب أما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي إمرأته . إن بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ، أما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي زوجها .. من زوج فحسناً يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن » (١كو٧: ٣٢ــ٣٤) . ويلزمنا أن نعرف أن البتولية نعمة خاصة تعطى للمختارين والمجاهدين في لهفة الشوق إليها .. إنها عطية مجانية وموهبة خاصة من الله .

وقد أشار الرب إلى حياة البتولية بقوله « يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات » (مت ١٩: ١٢) . فلا بتولية دون حب .. حب لله ، وحب لجميع الناس .. يشبه البتول النحلة

النشيطة في الداخل والخارج .. تحمل الرحيق ، وتخدم الجميع ، فهو لا يكف عن الصلاة ولا يهدأ عن تقديم رسالة الخدمة والحب للجميع .

ونحن نعيش فى عصر دنيوي مادي لا يكرم البتولية والتفرغ الكامل والتكريس للعبادة والخدمة .. إنه يفزع من رؤية الرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات لأنهم يمثلون أمامه تحدياً وتوبيخاً وتأنيباً عن حياة مغمورة في بالوعة الحياة المادية . وأمثال هؤلاء يطرحون سؤالاً : إذا تبتل جميع البشر أفلا تنقرض البشرية ؟! هذا افتراض غير وارد في الواقع العملي ، ومع ذلك فقد رد على السؤال المغبوط أوغسطين : إذا افترضنا أن جميع الناس سلكوا طريق البتولية المقدس فلن يكون هذا شراً لأنه إن انقرضت البشرية فخير لها أن تتوقف عن أن تسير في الفساد .. ويقول اكليمنضس الإسكندري : إذا حدث هذا فسوف ينهي الرب الزمان ويدخل المختارون كنيسة الأبكار لأن التاريخ يكون قد حقق الهدف المرجو منه . ياليت الكثيرين يسمعون الإنجيل قائلاً « كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية » (مت ١٩:٢٩) .

وأنت يا إبني إن سمعت النداء في قلبك لهذه الحياة فلا تطفئه بل صلِ من أجله ودع الروح يكشف لك عن مدى صدقه وعمقه

وأصالته حتى لا يكون مجرد نزوة طارئة أو رغبة متأثرة بعلاقة راهب . ولكن ما أن تأكدت من سمو هذه الرغبة ودوافعها الإيجابية فعليك أن تنميها بزيادة العشرة مع الله ومحبته . إطرح اشواقك هذه أمام الله وقل له « إن شئت خذني بالتمام لأكون لك ولتكن أنت وحدك أيضاً لي » لا تطلب بإصرار شكلاً معيناً لهذا التكريس لأنه في الوقت المناسب سوف يعطيك الرب سؤل قلبك وبالطريقة التي يختارها . بل وحتى إذا شاء لك الرب أن تتزوج سوف تشعر أنك لم تفقد أشواقك القديمة بل تنظر أن يد الله عريسك الحقيقي ونبع فرحك الأبدي هي التي تقدم لك شريكة حياتك . وبهذا حتى لو تمتعت بمؤانسة بشرية إلّا أنك تشعر في أعماقك بأن الله هو الذي يظلل حياتك الزوجية ويشبع كيانك الداخلي . إن هذا لن يؤثر تأثيراً سيئاً على نظرتك للزواج بل يعطيها مسحة روحانية وصفاء ونقاءً قلبياً .. وهكذا تستطيع أن تجاهد لتأخذ نصيبك من فضيلة البتولية بالقدر الذي يناسب قامتك حتى تعبر غربة هذا العالم دون نجاسة أو دنس .

صلاة

ربي وإلهي ومخلصي يسوع المسيح ، يامن تجسدت وشابهتنا في كل شيء فيما خلا الخطية وحدها اعطني أن أقتدي بك في مسيرة حياتي .

اسكب فيَّ محبتك ومحبة أبيك الصالح واملأني بروحك القدوس لأكون عضواً نامياً في كنيستك المقدسة وشاهداً لك في أسرتي ومعهدي وبيئتي ..

+ لذذني بحبك حتى أحب الجميع .

+ متعني بفرحك حتى أسعد الكل .

+ أظهر لي ذاتك حتى لا أنحرف في متاهات العالم .

+ علمني وصاياك ودربني لأكون مطيعاً لوالديَّ وأب اعترافي محباً للحق وشاهداً أميناً له . وإن دعوتني للحياة الزوجية فليكن الشريك مختاراً من عندك بتعيين واضح وإلهام صادق كي يكون حبي الزوجي من خلالك وإن اخترتني للبتولية الخادمة أو الكهنوت المقدس أو الرهبنة العابدة المتأملة فليكن نداؤك قوياً وناره مضطرمة حتى أحني لك رقبتي وركبتيّ قائلاً « لتكن مشيئتك .. أنا ملك يديك »

« أيها الرب ربنا ما أعجب اسمك في الخليقة كلها »

ثانياً : الإنجاب وبداية الحياة

لم يكن صعباً أن يخلق الله الأولاد بالغين ، ولكنه تمجد اسمه خلق الأسرة لتكون ملكوت الحب ، وشاء أن يشرك الإنسان في الخليقة معه عندما ينجب طفلاً .. شاء أن يساعده الأب والأم على إعطاء الحياة للمولود الجديد ـــ رغم عدم احتياجه لهذا ـــ لذلك وضع في الرجل وفي المرأة قوى حية تجعلهما قادرين على إعطاء الحياة للأولاد ، وسلّم إليهما قبساً من نور محبته . فكما أن الخليقة كلها ثمرة حبه الإلهي ، كذلك أراد بتدبيره السامي أن يكون الطفل ثمرة حب الوالدين . فالرجل يجتمع مع زوجته ويتحد الجسدان ، وتلتقي بذرتا الحياة الذكرية والأنثوية ، ويكون هذا اللقاء بداية حياة جديدة يصنعها الله في رحم الأم ، ذلك العش الدافيء حيث يأخذ الإنسان في النمو والحياة .

وفي خلال التسعة أشهر للحمل يكبر الجنين تدريجياً حتى تتكون جميع أعضائه .

والفتى المهذب يحترم المرأة الحبلى لأنها تذكره أيضاً بكم تعبت أمه في حمله . لهذا يقف لها ويعطيها مكانه في المواصلات العامة ؛ ويسعى بقدر إمكانياته لراحة كل أم تحمل جنيناً في بطنها .. ولقد دبر الله أن يتغذى الطفل من خلال دماء أمه .. وهذا الدم يسري في

عروقه من الموضع الذي نسميه (السرّة) ؛ وسرّته هذه تتصل بجهاز أمه الدموي بواسطة الحبل السري .. فكل نبضة من قلب الأم تدفق دماً في جنينها .

أيها الرب ربنا ما أعجب اسمك في الأرض كلها ، وما أعجب تدبيرك في خلقة الإنسان حيث تدبر للجنين عشاً في بطن أمه دفيئاً يرتاح فيه ويتغذى فيه من الداخل بقوى حيوية وينمو رويداً رويداً حتى يكتمل بعد تسعة أشهر ، وآنذاك لا يعود يسعه عشه الداخلي ولا يستطيع هو أن يعيش فيه إذ يتحتم أن يخرج إلى الوجود بالولادة .

والولادة لابد أن تكون بالأوجاع والآلام . ولعلك قرأت هذا في الأصحاح الثالث من سفر التكوين كيف ورثت المرأة هذا بسبب الخطيئة الأصلية .. حقيقة إن الرب بفدائه خلصنا من سلطان الخطيئة وأعطانا الولادة الجديدة والحياة الأبدية ولكنه أبقى للبشرية الآثار الجسدية وانطباعاتها التي تنتهي بالموت إذ يقول الكتاب آخر عدو يبطل هو الموت .. فالمولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح . ولقد قال الرب لحواء في الفردوس عندما حدث العصيان « تكثيراً أكثر اتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً » ولكن هذه الآلام قال عنها الرب ان المرأة تنساها عندما ترى المولود الجديد كما يقول الكتاب . لذلك تخاف المرأة وتحزن متى دنت ساعة

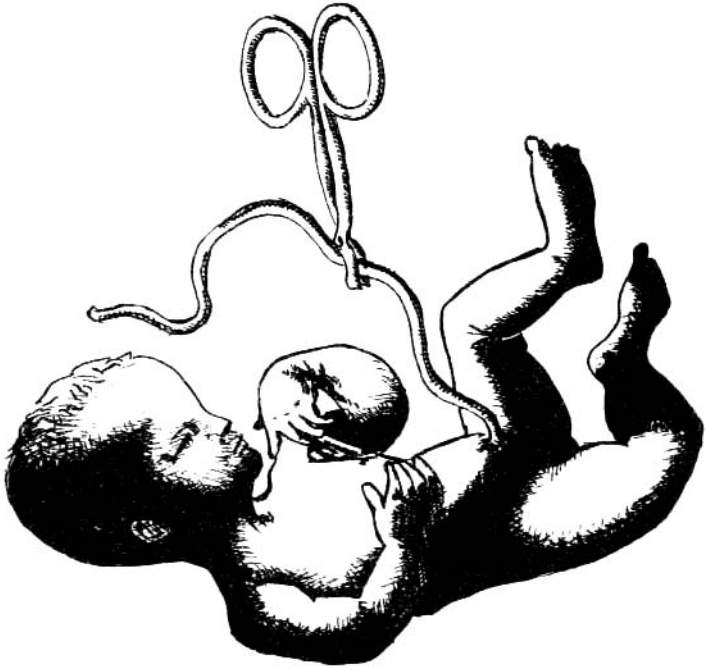

« المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح »

ولادتها ، لكنها متى ولدت طفلها لا تعود تذكر شدتها لعظم فرحها بولادة إنسان جديد في العالم . (يو ١٦:٢١) .

وكلما نتأمل في أتعاب الأم في حملها وولادتها كم نصلي ضارعين أن يكافيء الرب أمهاتنا عن أتعابهن ببركات سماوية .. ويحق أن يقدم لهن كل إكرام وتبجيل متذكرين الوصية التي أوصانا بها الكتاب « اكرم أباك وأمك » لأنه هذه أول وصية بوعد ..

ولنذكر بعض المواقف فيها عرفان بجميل الأم :

+ عندما تطلب منا شيئاً أو خدمة نسرع إلى الاستجابة بفرح ودون دمدمة .

+ في عيد الأم نقدم لها هدية ولتكن متواضعة إذا كانت ظروفنا المالية محدودة فالمهم التعبير عن الشعور والعرفان بالجميل .

+ في كل صلاة صباحية ومسائية نذكرها طالبين لها الصحة والسلام .

+ عندما تكبر في السن لا نهملها بل نحرص على إرضائها في الحق ونعمل كل ما فيه إسعادها .. وكم نكون ناجحين في الحياة عندما تمنحنا صالح دعواتها وبركة محبتها ورضائها .

أما الذين حرموا من رؤية أمهاتهم لأنهن إنتقلن عقب ولادة الطفل أو لمرض أو لحادثة ، فالكنيسة لا تنساهن في صلواتها كل قداس ، وترفع البخور عن كل الراقدين الذين تنيحوا في الإيمان . وهناك مناسبات عامة وأعياد كبيرة ترفع الكنيسة بخوراً عن كل الذين رحلوا إلى عالم البقاء . وإن كنت يابني ممن حرم حنان الأم فلا تحزن ، فالكنيسة اليوم هي أمك ، فتشدد وتشجع وتقو لكي تكبر ناجحاً ؛ ويصبح لديك ما تقدمه لليتامى في مؤسسات إيوائهم خاصة بعد زواجك عندما تصحب زوجتك لتكون أماً لهولاء المحتاجين حباً وحناناً . إن كل ما تقدمه يتقبله الرب يسوع كانه عمل معه شخصياً .

ولا يكاد يولد الطفل حتى يتنفس تنفساً جاداً ، ويأخذ في الصراخ ليمرّن قواه الحية كلها . وأما الأم فهى تبتسم لأنها تدرك من خلال هذه الصرخات أن وليدها حي سليم البنية .

وبعد أن تنظف الممرضة الطفل المولود من الدماء التي حوله وتقطع حبل المشيمة تسلمه لأمه لتغذيه باللبن وهو غذاء مثالي استودعه الله ثدي الأم لكي يرضع منها بفمه لينمو به ويزداد وزنه ..

● ذخيرة الحياة :

لقد عرفنا كيف ينشأ الطفل في بطن أمه ويقوده الرب إلى الحياة بواسطة الولادة ، ولكن الله وضع في جسم المرأة ذخيرة من تلك البذور في العضو الذي تطلق عليه المبيض . وفي كل شهر تنفصل بويضة عن ذلك المبيض وتنتقل إلى الرحم ، وطالما لم تجد حيواناً منوياً يخصبها تندفع بويضة الشهر السابق إلى خارج جسم المرأة ويخرج معها قليل من الدم ذلك ما يجري عند الفتيات للمرة الأولى ما بين السنة الثانية عشرة والثالثة عشرة من العمر وتسمى الدورة الشهرية ويتكرر هذا الحادث بطريقة منتظمة حتى سن الخمسين . ولكن إن وجد الحيوان المنوي الذي يخصب البويضة يحدث الحمل وتنقطع الدورة الشهرية ، ويرى الأطباء أنه توجد أسباب أخرى غير الحمل تسبب إنقطاع الدورة الشهرية أو تأخيرها أو غيابها كالانيميا الحادة أو بعض الأمراض العضوية أو نقص في إفراز الهرمونات الذي يؤخر سن البلوغ والنضج الجسمي . وتسمى هذه الدماء بالحيض أو الطمث ، ومنذ العهد القديم كان يشار بالنجاسة إلى هذه الدماء ، لهذا لم يكن مسموحاً لمن هي حائض أو في دماء طمثها أن تقترب من أي شيء مقدس سواء في تلك الدورة الشهرية أو خلال مدة معينة بعد الولادة (أربعون يوماً إذا كان المولود ذكراً وثمانون يوماً إذا كان أنثى) . ولعل هذا تذكيراً من الله من خلال هذا الرمز بالخطيئة

الأصلية التي كانت سبباً في هذه المتاعب التي تحيط بالأنثى في عملية الإنجاب ..

ولعله من المعزي للفتاة المؤمنة أن تجد العذراء القديسة مريم التي حبلت الرب يسوع بلا دنس خاضعة لهذا الناموس إذ بالرغم من طهارتها الكاملة وحلول الروح القدس عليها خضعت للوصية وفي اليوم الأربعين ذهبت لتقدم ذبيحة تطهيرها في الهيكل « لما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى » (لو ٢:٢٢ــ٢٤) إن الفتاة المؤمنة لم تعد دماؤها نجسة لأنها نالت الولادة الجديدة ، وتقديس الجسد بسري المعمودية والميرون فلا تظن الفتاة بعد عهد النعمة أنها نجسة أو أن أعضاء جسدها وافرازاتها دنسة فتمتنع مثلاً عن الصلاة وقراءة الكتاب المقدس . وإنما كل ما تطلبه منها قوانين الكنيسة أن تمتنع في هذه الفترة عن الأسرار الإلهية كما تمنع غير الصائم عن الاشتراك في المائدة المقدسة .. وفي حالة الضرورة القصوى كالتعرض للوفاة تعطى حلاً ولا تحرم من شركة جسد الرب ودمه

• البذار الحية :

أنت تعلم أنه لابد للإنجاب من أن يشترك فيه الرجل والمرأة معاً ، لأن الله وهب الأب قوى حية مقدسة ؛ إنها سر الحياة التي يقدمها الأب للأم ليساعدها على إنشاء حياة جديدة . وهذا أيضاً كانت تعرفه العذراء القديسة مريم عند بشارة الملاك لها بولادة الرب يسوع ، إذ أجابت الملاك جبرائيل مستفسرة « كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً » أى ليس لى زوج يساعدنى على الحبل . فأجابها الملاك إن هذا هو المولود الوحيد الذي لا يأتي من زرع بشري إذ قال لها « الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (لو ١ : ٣٥) ففي الإنسان الطبيعي لا تتكون ثمرة جديدة مالم يقع زرع الرجل الحي في جسم المرأة حيث البويضة تنتظر مجيئه إليها ؛ فهذا الزرع ما هو إلا خلايا حية صغيرة جداً (الهبرماثوزييد) لا ترى بالعين المجردة لصغرها ، وقد أودعها الله مع ذلك كل ما يرثه الإنسان من والديه من السمات التي تميزه عن غيره من الناس .. هذا سر عجيب من أسرار الخالق البديعة .

ويحسن بنا أن نذكر هنا أن الله عندما صنع عهداً مع إبرام قال له « هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر . فتختنون في لحم غرلتكم فيكون

علامة عهد بيني وبينكم .. إبن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً ، وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدي » (تك ١٧ : ٩ــ١٤) . ولهذا حرص اليهود إلى يومنا هذا أن يختنوا كل طفل في اليوم الثامن ، وقد خضع الرب يسوع لهذا الطقس واختتن في اليوم الثامن ، ونحن نعيد له عيداً يسمى عيد الختان بعد ثمانية أيام من عيد الميلاد وهو من الأعياد السيدية الصغرى ..

وإذا كانت المعمودية قد حققت ما يرمز إليه الختان الجسدي بختانة القلب والولادة الجديدة إلا أن البعض لا يزال يجري للأطفال الذكور هذه العملية في طفولتهم لأهداف صحية وليست لأهداف دينية .

ونشير أيضاً إلى أنه إذا كان الختان مفيداً صحياً للذكر ، فإنه مضر تماماً للأنثى . لذلك لم يأمر الله به في العهد القديم وكذلك حرمته القوانين الوضعية ويخطيء خطأً جسيماً كل من يعمل ختاناً للأنثى .. وهذا وضع لا يُعرف إلا في بعض بلاد العالم غير المتقدمة حضارياً .

• طور المراهقة :

يحدث في طور المراهقة أنه في بعض الأحيان تفيض الخصيتان بما فيهما من السائل الحيوي ، فتسعى الطبيعة لقذف ما هو فائض في خزائنها من غير أن يساعدها الفتى ، وفي أغلب الأحيان يتم هذا القذف في الليل أثناء النوم على أثر أحلام يظنها الفتى شنيعة ، ويخشى أن تكون فيها خطيئة ، والحقيقة أنه طالما كان طاهراً في حواسه وحريصاً أثناء يقظته فإن الإحتلام الليلي يمثل ظاهرة طبيعية لا تستوجب القلق . فقط يحرص على الاغتسال ونظافة الأعضاء والجسد ..

وعلى أي حال فمن الأهمية بمكان أن يتعود الفتى ألا يلمس أعضاءه دون مبرر ، وألا ينشغل بها ، لأن الاهتمام الزائد يمكن أن يقود إلى متاعب كثيرة ترهق الذهن والجسد وتعطل النشاط الروحي وتفقد الإنسان صفاء الصورة الذهنية وروح الصلاة .

• نقل الحياة :

لقد رأينا كيف أن الله أودع الخلايا التناسلية القدرة على إنجاب الأطفال ، وعلى الأب أن ينقل خلاياه إلى داخل جسم الأم لينشأ الجنين هناك . وهذا الفعل الناقل للحياة يتم بالاتحاد الجسدي بين الزوجين تعبيراً عن الحب المتبادل والإلتزام والتعهد الذي التزما به في كنيسة الله أن ينجبا للكنيسة وللمجتمع أولاداً .. لا يلدانهم ولادة جسدية فقط بل يلدانهم أيضاً ولادة روحية بعد ذلك من حضن الكنيسة بفعل الروح القدس في سر المعمودية التي هي بالماء والروح .. وإذ نتأمل روحياً في هذا الأمر نجد أن هذه الأعضاء التي قد تكون مثار سخرية من بعض الفتيان غير الروحيين ، أو مثاراً للشعور بالقباحة عند بعض الفتيات غير المستنيرات .. إنما هي أعضاء مكرّمة وأجهزة فى غاية من الدقة أبدع الله خلقتها ، فلا يجب أن نخجل مما لم يخجل الله من خلقته .. وكلما نعمّق التأمل في هذا العمل نمجد الله خالقنا الذي رضى أن يستخدم أولاده في إنجاب أعضاء أخر ويشاركونه العمل في امتداد كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية . وهذا الإنسان الجديد معروف عند الله من قبل تكوين العالم ، وقد أعطى الله من محبته للوالدين أن يساهما معه في عملية الخلق ، وأن يتمتعا بالأبوة والأمومة بكل ما فيهما من عواطف سامية ونبيلة .. هذا الأمر الذي لا يوجد عند الملائكة ولا عند

الحيوانات أو الخليقة المادية أيضاً .. فالإنسان هو الكائن الوحيد الفريد الذي عندما خلقه الرب في الجنة سُرَّ به للغاية ورأى أنه حسن جداً ..

« هدف الأسرة الوحدة لنكون على
صورة الله ومثاله »

فالزواج أمر مقدس وهو تعهد يكرس العلاقة ويقدس حياة الشركة . وفي سر الزواج يطلب الكاهن من الله أن يحرس الزوجين ويقدس مضطجعهما ويبارك وحدتهما لينجبا بنين وبنات كغروس في الكرمة المقدسة التي هي كنيسة الله ..

وترفض الكنيسة أية علاقة جنسية بين رجل وإمرأة إلا من خلال الزواج . وتعتبر هذه العلاقة زنا نهى الرب عنه في وصاياه المكتوبة بأصبعه على جبل سيناء واستلمها موسى النبي منذ أقدم العصور ..

والزنا إنحراف عن المجرى الحقيقي للدافع الجنسي الذي يهدف إلى حياة الشركة والزيجة القائمة على البذل والحب والنضج والإلتزام ..

ونود أن نؤكد أن العلاقة الجنسية بين الأب والأم لا تهدف فقط إلى الانجاب وحفظ النوع رغم أن الرب أمر بهذا عندما قال « اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على كل سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض » (تك ١:٢٨) ولكن الهدف الذي يميز الإنسان عن الحيوان في العلاقة بين الشريكين هو الوحدة ليحقق الإنسان الهدف المرجو من وجوده . من أجل هذا قيل « يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً » (تك ٢:٢٤) وكان هذا الهدف بعد خلقة حواء لآدم ..

وإذا كان الإنجاب هو الهدف الرئيسي من الزواج لسمح الرب بفصم العلاقة الزوجية في حالة العقم ..

إن الوحدة الروحية والنفسية والفكرية تجد في الإتحاد الجسدي تعبيراً عنها وإفصاحاً عن مضمونها . إن الجسد دائماً يريد أن يعبر عما يختلج في الداخل . إن هذا الحب الزيجي يترجم في أن الواحد لايريد أن يرضى ذاته بل يسعى بكل طاقته لإرضاء الآخر ، وليس له تسلط على جسده بل للآخر . لذلك يجب أن يتم الاتحاد الزوجي بين الرجل وإمرأته في جو من الاحترام والحب المتبادل وفي مناخ احترام رغبة الآخر وإسعاده .

وأما أنت أيها العزيز .. وقد عرفت قيمة هذا الدافع الحيوي وكرامته فاحرص على أن تحافظ على قوة التناسل التي فيك والحيوية التي تملأ كيانك ولا تسلمها للعبث والمجون ، ولا تتحدث عنها بطيش وتبذل .. ولكن تذكر قول الرسول بولس إلى تلميذه القديس تيموثاوس

[احفظ نفسك طاهراً]

صلاة

أيها الآب السماوي أشكرك لأني كنت معروفاً عندك قبل أن أُولد من رحم أمي ، خلقتنى إنساناً كمحب للبشر ، وأعطيتني أن أتذوق حلاوة الأبوة والأمومة والأخوة ، ومنحتني العقل والنطق والقدرة على الإبداع ونعمة الحب والإنطلاق من أنانية الذات . وأوجدت فيَّ طاقة متدفقة لأخدمك بها ، وعندما يكتمل نضجي انشيء بنعمتك أسرة تكون كنيسة صغيرة تستقر فيها مع ابنك الحبيب يسوع . اسمح يارب بروحك القدوس أن تطهرني من كل دنس الجسد والروح لتكون حياتي ذبيحة مرضية أمامك واعزم ألا أعرف في حياتي إلا يسوع ابنك وإياه مصلوباً .. ومن خلال صليب حبه تكون اطلالتي على العالم حتى رحيلي إليك .

ثالثاً : الدافع الجنسي في الإنسان

قد تسأل ما معنى الغريزة الجنسية ؟ وهل هي كالغريزة عند الحيوانات ؟ أم أن الإنسان يتميز بطابع خاص في غرائزه وبالأخص ما يتعلق بالنوع (الجنس)؟..وكيف يحدث أي انحراف في مجرى هذه الغريزة ؟ وما مظاهر هذه الإنحرافات ؟

الدافع الجنسي :

يفضل علم النفس أن يطلق على الغرائز لفظ الدوافع البيولوجية (الحيوية) وهذه الدوافع هي استعدادات فطرية جسمية نفسية ، ولها أهداف حيوية في حياة الكائن وتهدف نحو الاغراض التي خلقت من أجلها سواء شعر بها الكائن أو لم يشعر .. ولكل دافع انفعال خاص به ، فالدافع الجنسي إنفعاله الشهوة ، والخوف انفعاله الرغبة في الهروب .. ولكي يكون هذا الحديث ملموساً بالنسبة لك أذكرك بما تفعله عندما تقابل في الطريق خطراً يهدد حياتك . إنك تفر هرباً بلا شك . إنها غريزة الخوف وقد ظهر انفعالها في داخلك وتحركت انزيمات الادرنالين وأثر على الرجلين اللتين سابقتا الريح . ما أروع محبة الله الذي خلق فينا هذه الأجهزة التي تعمل تلقائياً من أجل حمايتنا ! أتتذكر انفعالك وأمامك مائدة شهية بعد جوع

طويل ؟! إنها غريزة الأكل الموضوعة فينا من أجل حفظ صحتنا . هكذا الدافع الجنسي موجود في داخل الطفل منذ أيامه الأولى كبذرة صغيرة . فهو دافع فطري ولكنه يمر في مراحل حتى ينضج ويكون لنضجه علامات جسمية ونفسية واضحة في الإنسان . ومن صفات هذه الدوافع انها نوعية خاصة بالأفراد الذين ينتمون إلى نو ع واحد ، وهي ثابتة لا تتغير وعامة لدى جميع الأفراد الذين لديهم الدافع ، وغير قابلة للمحو والزوال .

والدافع الجنسي يولد مع الإنسان فهو وراثي فطري ويمر في مراحل حتى ينضج ويكون لنضجه علامات جسمية ونفسية واضحة في الإنسان . وإذا لم تكتمل هذه الظواهر والعلامات يكون الإنسان ناقصاً وشاذاً ويحتاج لعلاج جسمي أو نفسي أو كليهما معاً .

أولاً ـ سمات الدافع الجنسي عند الإنسان

• الحيويـة :

إن الدوافع الحيوية ومنها الجنس موجودة في الحيوان كما هي في الإنسان أيضاً .. وتعتبر هذه الدوافع القوة الدافعة الوحيدة التي تفسر سلوك الحيوان وتصرفاته ، لكنها في الإنسان ليست تختلف عنه فى الحيوان ، فهى فى الانسان ليست قواه السفلية لأن الإنسان لديه العقل والعواطف والإرادة كما أن الإنسان يتفوق عن الحيوان في نسمة الحياة الخالدة المستمدة من الله القدوس الذي أراد لنا أن نكون له أبناء ووارثين معه في الملكوت . فالغريزة الجنسية من هذا المنطلق من أرقى الدوافع الحيوية في السلوك الإنساني .. وهي تعطيه الفرادة المتميزة عن الملائكة وعن الحيوانات كلها .. ولكي نفهم معنى « القوى السفلية للإنسان » . دعنا نلقي نظرة سريعة على المخ البشري .

نظرة تشريحية إلى المخ البشري [1]

إذا نظرنا نظرة تشريحية مبسطة إلى المخ البشري نجد فيه :

(١) جزء أعلى مسئول عن التصرفات الإرادية والعاقلة ويسمى بالقشرة (cortex) .

(١) مأخوذة من كتيب « حياة الطهارة » للدكتور كمال حليم ، ومعه بعض الفقرات فى مواضع مختلفة .

(٢) وجزء أسفل يسيطر على التصرفات اللاإرادية والغريزية أي الدوافع البيولوجية البحتة .

وهذا الجزء يتكون من مجموعة المراكز العصبية في أسفل المخ ليتحكم في كافة الحركات العضوية اللاإرادية التي تحفظ للجسد كيانه وحياته كالتنفس وضربات القلب وحركة الأمعاء وافرازات الغدد وغير ذلك .

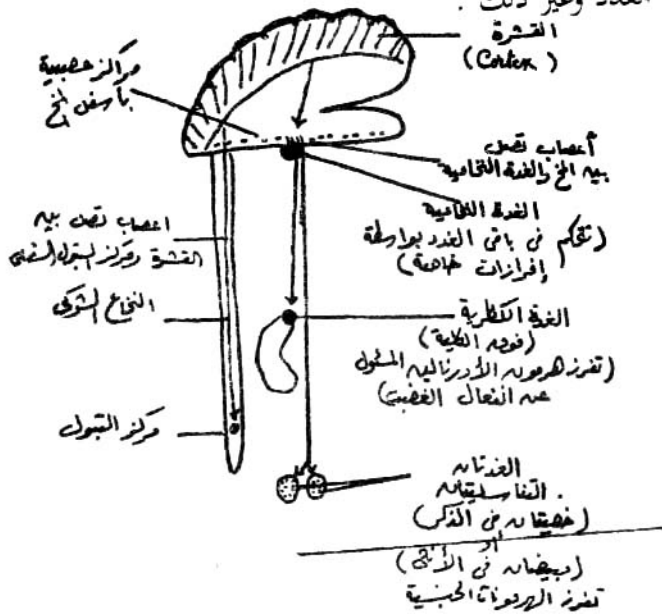

رسم تخطيطي يبين كيفية تحكم القشرة والغدة النخامية في المراكز السفلى وفي الغدد الصماء

أما القشرة فتسيطر على هذه المراكز العصبية التي بأسفل المخ نتحكم في الكثير من الأفعال اللاإرادية كالأمثلة التي سنوردها وإن كان بعضها لا يخضع لها إلا في حدود ضيقة لكي لا تكون حياة الإنسان رهن إرادته كعمل القلب والتنفس .

الفارق بين مخ الإنسان والحيوان :

إن القشرة في الإنسان كبيرة جداً نسبياً وتملأ الجزء الأكبر من فراغ الجمجمة ، أما في الحيوان فهي صغيرة جداً حتى في أعلى درجات الحيوانات (الشمبانزي وإنسان ياندرتال) الذي يلي الإنسان في درجة الرقي . ولذلك يمتاز الإنسان عن الحيوان في قدرته على التحكم في الكثير من حركاته اللاإرادية وكذلك في السيطرة على دوافعه الجسدية .

كيف يسيطر الإنسان على بعض الأفعال اللاإرادية وعلى الغرائز ؟ سنضرب لك أمثلة ثلاثة :

التبول فعل منعكس (Reflex) يتم عند امتلاء المثانة بالبول ويتحكم فيها مركز بالنخاع الشوكي ، وهذا يتم في الحيوان وفي الطفل الوليد كلما امتلأت المثانة بالبول وحيثما اتفق وفي أي مكان بالليل أو النهار ، فالطفل الوليد يشبه الحيوان في عدم قدرته على التحكم ، ولكن عندما يكبر تنمو فيه الأعصاب الموصلة التي تصل المراكز العليا في القشرة بمركز التبول

السفلي ، عندئذ يستطيع الطفل التحكم فتتم علمية التبول بطريقة إرادية فيبدأ بعد السنة الأولى في التحكم فيها نهاراً وبعد السنة الثانية التحكم فيها أيضاً بالليل .

الغضب انفعال يحدث مظهراً معيناً في الإنسان والحيوان ، فالقطة عندما تغضب مثلاً تشد أقدامها وترفع ذيلها وتتسع حدقتا عينيها ، ويحدث للإنسان شيء شبيه بهذا عندما يغضب . والمسئول عن هذا المظهر لإنفعال الغضب هو إحدى الغدد الصماء (وموجودة فوق الكلية) التي تفرز هرموناً خاصاً (الادرنالين) وهو الذي يحدث هذه التغيرات الجسمية . ويسيطر على هذه الغدة وغيرها من الغدد الصماء ، غدة بأسفل المخ اسمها الغدة النخامية ، وهذه الأخيرة تتصل بالمخ بواسطة أعصاب وتقع تحت تأثير المراكز العصبية والقشرة ، وعن طريقها يستطيع الإنسان أن يتحكم إلى حد بعيد في باقي الغدد الصماء . وتعتبر الغدة النخامية بالنسبة لباقي الغدد بمثابة « المايسترو » الذي يقود الفرقة الموسيقية ويوجهها وينظمها فالإنسان يستطيع أن يتحكم في انفعال الغضب عن طريق مراكزه العليا في المخ . وهو مطالب إذن أن ينفذ وصية الله « اغضبوا ولا تخطئوا ؛ ولا يغرب الشمس على غيظكم » (اف ٤:٢٦) . ولا يستطيع

الإنسان أن يقول إني لا أقدر أن أتحكم في غضبي لأن الله ميزه عن الحيوانات بإمكانيات التحكم في غرائزه .

الشهوة الجنسية : هي انفعال الغريزة الجنسية وهي تحدث نتيجة إفرازات الهرمونات الجنسية من الخصيتين في الذكر أو المبيضين في الأنثى . ويتحكم في هذا الغدة النخامية التي تؤثر على كل الغدد بواسطة إفرازات خاصة نوعية تفرزها لتنبيه كل غدة عند اللزوم وبالقدر المطلوب . فإذا سمح إنسان لنفسه أن ينبه مراكزه العصبية بالمؤثرات الجنسية الخارجية التي تؤثر على الحواس ، تنبهت الغدة النخامية وأرسلت افرازاتها الخاصة بالجنس لتنبه الخصيتين أو المبيضين فتفرز في الدم الهرمونات الجنسية التي تحدث تورداً للدم في الأعضاء التناسلية مما ينتج عنه انفعال الشهوة .

وعن هذا الطريق يستطيع الإنسان أن يتحكم إلى حد بعيد في انفعال الشهوة .

ويمكننا تشبيه قدرة المراكز العليا عفى قشرة المخ على التحكم فى المراكز السفلى بغرفة العمليات في القيادة العليا للقوات المسلحة التي تتحكم في توجيه الكتائب والألوية ، كما يشبه العقل في تحكمه فى الغرائز بفارس يركب حصاناً جامحاً ولكن الفارس يستطيع من

خلال اللجام أن يكبح جماحه ويسير بجواده نحو هدفه في سلام وإلّا طرحه الجواد أرضاً .

وإذا كان رجال علم النفس قد قالوا لنا أن الغرائز أو الدوافع البيولوجية لها ثلاثة مقومات في الإنسان هي الإدراك والانفعال والنزوع بمعنى أن المخ يدرك فيحدث الانفعال ثم ينفذ الإنسان ما تتطلبه الغريزة أو قد يكبت الرغبة ولا ينفذها .. إذا كان هذا في الإنسان فيصبح مفتاح التحكم في الغريزة الجنسية عند الشباب هو العقل . فإذا كانت حواسه طاهرة كان فكره طاهراً وإن كان فكره طاهراً فإن الانفعال لا يحدث إلا في المجري الطبيعي الذي وضع من أجله وهكذا تكون الغريزة سائرة في وضعها السليم .

فالصفة الأولى فى الدافع الجنسى عند الإنسان أنه ليس مجرد فعل منعكس وإنما طاقة يمكن ضبطها وتوجيهها يتحكم فيها العقل وتسيطر عليه الإرادة .. ويخطيء هنا الإباحيون الذين يقولون أن الجنس طاقة لا يمكن التحكم فيها وأن ضبطها والتسامي بها يضر الإنسان ، وانما على العكس سنرى كيف أن الإباحية والكبت يؤذيان الإنسان في حياته ليست الجنسية فقط بل في كيانه ككل متكامل .

• العواطف الراقية :

والصفة الثانية في الدافع الجنسي آنه ليس مجرد إزالة التوتر العضوي وإنما هو مفعم بالعواطف الراقية .

كم يلذ للخطيب أن يجوب المحلات التجارية بحثاً عن هدية لطيفة تروق لعين خطيبته ! وكم تلذ للزوجة وقفتها في المنزل تعد أكلة معينة يفضلها زوجها ! هذه العواطف المتبادلة هي التي تلف الطرفين في غلالة رقيقة تضمهما معاً ؛ فتقترب النفسيتان ويتحدان ، ويصبح تلقائياً اقتراب الجسدين تعبيراً عن الحب والشركة والالتزام الذي جمع الاثنين وجعلهما واحداً .. لهذا يقول القديس مكسيموس المعترف ان الانفعال الروحي أولاً ثم الانفعال الجسدي .

وإذا كان تناول الطعام إنسانياً ليس مجرد استهلاك مواد لإطفاء انفعال الجوع ، وإنما هو وسيلة لمزيد من الشركة والحب والتعارف ، فيجلس الأحباء حول المائدة ويأكلون بطريقة راقية ، ويتبادلون الاحاديث التي تدعم محبتهم ، ويكون الأكل هنا تعبيراً عن سر من أسرار الحب الإنساني الذي لا تقاس لأعماقه حدود ، كم بالأحرى الجنس الذي هو أكثر عمقاً في حياة الإنسان والذي يحاط بالاحترام والوقار ، والذي من أجل الارتباط الزيجي وتحقيق اللقاء بين الاثنين

يؤسّس عش الزوجية الجميل ... ويجلس الخطيبان يتفاهمان حول المستقبل ومباديء الحياة التي يعتزمان أن يشتركا سوياً في الإلتزا

« الحياة العائلية مفعمة بالعواطف الإنسانية الراقية »

حقاً إن الجنس إنسانياً ليس مجرد التصاق جسدي ، وإنما هو مشاعر حب صادق في القلبين تجد في اللقاء الجسدي تدعيماً لها .. ولعل هذا هو أحد الفوارق الجذرية بين الزواج والزنا .

إن العلاقة الزيجية لها بُعد داخلي أما الزنا فهو إزالة التوتر الجنسي بإحساس اللذة السطحية الجنونية التي تنعكس بعدها إلى بغضة بين الطرفين بدلاً من تعميق الحب . وأمامنا مثل أمنون وثامار في

« الطفل ينمو بالحب الوالدى أكثر مما ينمو بما يشبع جوفه »

العهد القديم (٢ صموئيل ١٣) . وهو الفارق أيضاً الذي يجعل الإنسان قادراً أن يقدم طاقته الحيوية على مذبح البذل والعطاء والحب والتكريس كتقدمة طاهرة .. الأمر الذي لا تستطيع أن تعمله الملائكة أو الخليقة غير الناطقة ..

• • •

صفوة القول :

+ أن الدافع الجنسي في الإنسان يهدف إلى تحقيق الشركة والوحدة وانصهار الإثنين في شركة « نحن » واختفاء الانا .

+ أن هذه الشركة هي الحل الحقيقي لمشكلة العزلة والفراغ الداخلي .. وهذا هو التفسير النفسي العميق لمعنى : أصنع له معيناً نظيره ...

+ أن الغريزة الجنسية ليست بيولوجية (حيوية) يتحكم فيها المثير والاستجابة وإنما تديرها وتتحكم فيها المراكز العليا في المخ التي تعطي للإرادة قوتها الإنسانية .

+ أن الدافع الجنسي ليس بيولوجيا فحسب وإنما هو مفعم بأرقى العواطف في مفهومه الإنساني وقد تسمو العواطف هذه إلى مستوى التكريس والبتولية المقدسة .

+ أن الدافع الجنسي مرآة للشخصية وحصيلة لقواها المختلفة كما أن هذه القوى لها فعاليتها على هذه الغريزة الحيوية .

• إنحرافات الدافع الجنسي عند الإنسان :

يشبه الدافع الجنسي في الإنسان تيار النهر الذي يبدأ من المنبع ويستمر في سريانه حتى ينتهي إلى المصب ، وإذا لم يعترض المجرى جنادل أو شلالات كانت مسيرته طبيعية هادئة . وإذا وضعت عليه السدود فإنها تحجز تدفق المياه وتعطل سلامة السريان ..

هكذا يرى رجال علم النفس أن الجنس يبدأ مع الإنسان منذ تكوينه ، وعند ولادته ، وفي سنيه الأولى . ويسمون الطاقة الحيوية هذه **بالليبيدو** التي تغطي جسمه كله . فيجد الطفل لذة في أن يحتضنه أحد ويلامس جسده ، كما تتركز المناطق الشبقية في الفم ومركز الإخراج . ثم ينمو الدافع فيتجه من مركزية الذات إلى نفس الجنس وهذا ما تلحظه في تلاميذ المرحلة الابتدائية وأوائل الاعدادية عندما ينجذبون إلى رفقائهم من نفس النوع .. وفي نهاية المرحلة الاعدادية وأوائل المرحلة الثانوية يتجه التيار نحو الجنس الآخر وعندما يتثبت الاتجاه الأول يسمى الشذوذ الجنسي ، ولكن كثيراً ما يعجب الفتى بإحدى قريباته أو صديقات أخته ، ثم يتحول هذا الإعجاب سريعاً إلى شخصية أخرى . وهكذا يكون الجنس الآخر بصفة عامة مثيراً له حتى تنتهي هذه المرحلة إلى الاحادية التي في البداية يكون اختيارها وفقاً لمعايير سطحية أحياناً ولكن عند تمام نضج الدافع يكون الاختيار صادقاً ، وتثبت الأيام أصالة ونقاوة

العلاقة وتبدأ مراحل الخطوبة والإعداد للزواج الصالح . إن مرحلة الكفاح لبناء عش الزوجية يكتنفها الحب الطاهر والفرح القلبي بالإختيار والإلهام السليم مع التعب والعناء المشترك والجهد المضني في الصراع لتحقيق متطلبات الحياة الزوجية السعيدة .

ونحن ننصح الفتيان والفتيات ألَّا يتعجلوا ويصدروا أحكاماً سريعة ، ويتصورون أنهم قادرون على اختيار الشريك الآخر وهم بعد في ريعان الصبا ، لأن التيار نفسه لا يكون قد وصل إلى هذه المرحلة ، والغريزة لا تكون قد نضجت نضوجاً سليماً .. والشاب المتسرع الذي يختار بطريقة سطحية أو شهوانية أو باندفاع وتهور كثيراً ما تكون زيجته فاشلة إذ سرعان ما تنتهي الأيام الأولى ، ويكتشف كل طرف أنه لم يكن للآخر ، وأنه لم يكن مدققاً وموفَقاً في الاختيار وأنه ليس ثمة اتفاق وتقارب فكري ونفسي وروحي ..

فالانحراف الأول هو الوقوف عند مرحلة دون استكمال النمو الطبيعي للغريزة وهذا ما يسمونه التثبيت أو النكوص أي الوقوف عند مرحلة دون تجاوزها إلى النضج الحقيقي الذي تتحدد معالمه في الاختيار السوي للشريك أو التكريس البتولي الطاهر ..

● العادة الجنسية :

وثمة إنحراف آخر هو تركيز الفتى أو الفتاة الشهوة نحو إثارة الأعضاء التناسلية حتى تحدث الإثارة بعيداً عن مرماها الأصيل وهو الزواج الناضج الملتزم . فإذا تحول هذا الفعل إلى عادة متأصلة ـــ سواء قبل البلوغ أو بعده ـــ فإنها تحرف تيار المجرى عن وضعه الأصيل إلى لذة غير طبيعية وناقصة لا تروي النفس ، كما إنها كثيراً ما تركز ممارسها في عشق ذاته (نرجسيته) وتزيده أحياناً إنطواءً .. الأمر الذي يدفعه إلى الممارسة . وهكذا يدخل الشاب أو الشابة الصغيرة في الحلقة المفرغة أو الدوامة التي يحسن الابتعاد عنها منذ البداية .

وتتعدد أسباب ممارسة هذه العادة ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) **أسباب تاريخية** : كأن يكون قد حدث العبث بالأعضاء في الصغر ولم يجد من ينبهه إلى خطورة هذا العبث ويحول اهتمامه إلى موضوعات أخرى تشبع نفسه .

(٢) **أسباب جسمية** : كحدوث احتكاكات تثير الأعضاء ، أو بسبب سوء وضع الرقاد أثناء النوم (وأفضل الأوضاع هو الرقاد على أحد الجنبين) ، أو لكثرة التهام الأطعمة الدسمة بشراهة مما يثير الشهوة بلا داع أو لحدوث بعض الالتهابات في

الأعضاء وخاصة بسبب الأمراض المستوطنة في الريف .. لهذا يلزم الإنسان التأكد من سلامة أعضائه صحياً ، واعتدال حياته في كل العمليات البيولوجية .

(٣) **أسباب نفسية** : مثل العطف الشديد على الذات أو احتقار الإنسان الشديد لنفسه أو التدليل في التربية ، أو القسوة العنيفة في المعاملة المنزلية أو المدرسية أو كليهما معاً ، أو الحرمان من العطف الوالدي وجدب الحنان والحب في الطفولة الأولى خاصة ، أو الخجل الشديد والخوف الزائد بسبب الإرهاب وعدم تحمل أي مسئولية .

لهذا تكثر هذه الظاهرة في دور الإيواء مثل الملاجيء ودور المشوهين والمعوقين وطلبة المدارس الداخلية ، والقاطنين في المعسكرات بعيداً عن الحياة العائلية ومصادر الشبع العاطفي .

(٤) **أسباب اجتماعية** : مثل المناظر المعثرة والملامسات واحتكاك الأجساد في المواصلات أو في المنزل أو الأفلام الهابطة وخاصة بعد انتشار الفيديو والتليفزيون .

(٥) **أسباب فكرية** : وهي عدم طهارة الفكر وتلويثه بالصور الذهنية الشهوانية من خلال عدم حراسة الحواس وعدم عفة النظر والسمع والذاكرة واللمس ..

ونحن ننصح الفتى أن يهتم بطهارة فكره وحواسه ونقاوة قلبه لأنه منه مخارج الحياة ، والابتعاد عن كافة المثيرات الشهوانية إذ يقول الكتاب « اهرب لحياتك » ، « احفظ نفسك طاهراً » ، « أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي » (٢تي ٢:٢٢) كما يقول : كونوا قديسين كما أن أباكم الذي في السموات قدوس ؛ وبدون القداسة لن يعاين أحد الرب .. لهذا يلزم التدقيق في إختيار الصديق والصورة الذهنية والموقف ، وسوف نزيد هذا الجانب إيضاحاً عند الحديث عن حياة الطهارة .

● الزنـا :

وهناك إنحراف جنسي آخر هو الزنا .. الخطيئة التي يبغضها الرب ، والتي تهين الجسد ، وتدنس الهيكل المقدس .. بسببها أحرق الرب سادوم وعامورة ، وأغرق العالم بالطوفان أيام نوح البار ، وأمات ثماني عشر الفا من اليهود في برية سيناء ، وهيج عليهم الحيات والعقارب وهذه الأمور كلها حدثت لنا مثالاً وإنذاراً نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور ..

ونقصد بالزنا ممارسة الجنس خارج الزواج .. هكذا يقلب الزنا النظام الذي رتبه الله ، وهو خطر شديد على سعادة الزوجين والأسرة معاً .. ويبيد ما أعده الله من السعادة لهما ولأولادهما ، ويفسد النموذج المبارك الذي وضعه الرب في الجنة عندما خلق حواء لآدم وأوضح أن الرجل تكون له زوجته الواحدة ، والزوجة لها بعلها الواحد .. وما أزوجه الله لا يفرقه إنسان .. أي لا يدخل في الوحدة ثالث يفصم عري الشركة ويدنس التعهد والإلتزام المبارك ..

وكثيراً ما تبدأ هذه الخطيئة بالنظرة أولاً ثم بالاشتهاء الداخلي ، ثم بالتهاون مع النفس والسماح بتردد الفكر الدنس ، وأخيراً يهيء العدو الملامسات المناسبة فيحدث السقوط ..

يقول سليمان الحكيم عن هذه الخطيئة « لأنه بسبب إمرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز ، وإمرأة رجل آخر تقتنص النفس الكريمة .. أيأخذ إنسان ناراً في حضنه ولا تحترق ثيابه ، أو يمشي إنسان على الجمر ولا تكتوي رجلاه .. هكذا من يدخل على إمرأة صاحبه كل من يمسها لا يكون بريئاً » (أم ٦:٢٦ــ٢٩) .

والعدو يزين للشاب غير المتزوج الخطيئة ويغريه ويحاول أن يقنعه إنها تشبعه وتمتعه وتسره ، ولكن الحقيقة أن الاتصال الجسدي بدون الحب المقدس المدشن بالالتزام الزوجي لا يحل مشكلة العزلة والفراغ

الداخلي ، ولا يقدم للإنسان متعة ، وإنما يقدم لذة في لحظة سرعان ما تنطفيء وتترك الحسرة والندم واليأس والحزن المرير والشعور بالهزيمة وتأنيب الضمير بإفساد الهيكلين وإعثار الآخر ومكتوب « ويل لمن تأتي من قبله العثرات » .

ويكفينا مثالاً على ذلك داود النبي الذي كان في قمة السعادة ونقاوة القلب حتى أن الله قال عنه « وجدت قلب داود عبدي حسب قلبي » .. داود هذا الذي وصل إلى قمة الروحانية وعمق التسبيح بالمزامير الخالدة يتهاون مع نفسه ويترك لجسده العنان فينهار وتتحول حياته غماً وحزناً ، وبدموع أخذ يبلل فراشه طيلة اليوم ، ولم يفارق السيف بيته ، وكما صنع مع إمرأة أوريا الحثي هكذا أمر الرب أن يُصنع مع أولاده في حياته .

لنحترس لأنفسنا .. فالكتاب ينبهنا أن نصحو ونسهر ونصلي كي لا نقع في تجربة . ولكن إن حدث سقوط ــ لا قدر الله ــ فلننهض سريعاً بالتوبة والصلاة والتذلل أمام الله والثقة في مراحمه الواسعة قائلين « لا تشمتي بي ياعدوتي لأني إن سقطت أقوم » .

• الكبت والقمع والوسوسة :

عندما قال الرب يسوع : من نظر إلى إمرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه ، إنما أكد على نقاوة القلب وطهارة الفكر ونظافة الداخل ..

فالعفة الجنسية مسيحياً ليست مجرد الامتناع عن الزنا والعادات الجنسية ، وإنما تتعداها إلى طهارة الفكر والمشاعر .. فقد يحدث أن شاباً يمتلىء خياله بالصور الجنسية ، ويتوق إلى تحقيق الاتصال الجنسي إلا أنه لا يجرؤ على ذلك بسبب الظروف الاجتماعية والتقاليد العائلية ، أو بدافع الخجل أو خوفاً من عقاب المسئولين عنه أو فقدان سمعته .. هذا كله دون اقتناع بأهمية حياة الطهارة وجمالها ودون أدنى إرادة للاستفادة من الإمكانيات الروحية الممنوحة بالمسيح لاقتناء هذه الفضيلة .

مثل هذا الشاب يعاني من الكبت ، وليس طاهراً بمعنى الكلمة . والكبت الجنسي عملية لا شعورية ، فيها يشعر الإنسان بثقل الدافع الجنسي وتضارب الدوافع والميول إزاءه فهناك رغبة بالميل نحو الآداب وهناك رغبة بالمقاومة واشتعال للسقوط .. إزاء هذا الصراع الداخلي يحدث ما يسمى بالكبت ..

فالكبت إذن هو إشتعال الفكر والوجدان بالنجاسة وإرادة داخلية متجهة نحو السقوط مع عدم القدرة على تحقيق المطلوب لظروف خارجية .. مثل هذا يلجأ إلى نوع من الرياء لأنه كثيراً ما يتظاهر المكبوت بغيرته الدينية أو الخلقية ويهاجم بشدة الساقطين ويقسو على الناس في أحكامه وينتقد كل ما هو جنسي عند الآخرين ..

إن المسيحي الحقيقي هو من يتصالح مع نفسه ومبادئه وأهدافه ويهتم بطهارة الداخل كما الخارج أيضاً ، ويرفض كل نفاق ورياء في حياته عامة ، وفي حياة العفة بصفة خاصة . وعندما يلحظ بادرة إنحراف يسرع إلى التوبة والاعتراف لتطهير الشعور واللاشعور من كل ما يدنس الهيكل ..

يلزمنا أن نوضح إذن الفارق بين الضبط والكبت ، الضبط عملية شعورية واعية هادفة إيجابية ، أما الكبت فهو عملية لا شعورية منقسمة مضطربة .. الذي يضبط نفسه حريص على نقاوة قلبه لسكنى المسيح . مقتنع تماماً بأهمية الطهارة وسموها ومقتنع أيضاً أنه بقوة المسيح يستطيع أن يحصل عليها . هذا لا يمنع أن نزواته وميوله تظهر أحياناً وتميل إلى الإنحراف ، ولكنه بإرادته الحرة يرفضها ، فهو لا يقع فريسة الضعف بل يبقى فيه الرجاء كمرساة للنجاة .. والذي يؤمن بالذي يبرر الفاجر يحسب له إيمانه براً ..

وقد يتخذ الإنحراف صورة الوسوسة ، فالفتاة أو الفتى الذي يخاف من كل ما جنسي خوفاً سلبياً ، ويتشكك في نفسه من كل نظرة أو تصرف دون أن يكون في سلوكه ما يستدعي هذه الوسوسة ، إنما هو يعاني إنحرافاً . ويفيده هنا الإرشاد الروحي الإيجابي ، والثقة في نعمة الله ومراحمه الواسعة ، ويكفيه أن يحترس من العثرة إذ يقول الكتاب « طوبى لمن لا يدين نفسه فيما

يستحسنه » وهذا ما نقوله أيضاً لأولئك الذين تسيطر عليهم أحياناً عقدة الذنب بسبب ذكريات قديمة أخطأوا فيها دون فهم ، أو أحداث شوهت مفهوم الجنس في أذهانهم بسبب أخطاء آخرين تجاههم ولم يكن لهم فيها دور إيجابي ..

« طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله »

رابعا : حياة الطهارة

ما أعظم فضيلة الطهارة وما أبهاها وما أعجبها ..

+ هي فضيلة السمائيين والروحانيين .
+ هي حياة البتوليين والقديسين الذين أحبوا العريس السماوي .
+ هي قوة مشعة ، ونضارة طبيعية ، وجمال ملوكي ونصر باهر وتهليل الصديقين .
+ هي نقاوة القلب التي بها يعاين المؤمنون وجه الله .
+ هي النفس التي يستريح لها الرب ويكشف أمامها أسراره المجيدة .

● معنى الطهارة :

الطهارة في المسيحية أوسع معنى من العفة ، فالعفة تتناول طهارة الأعضاء الجنسية وسلوك الغريزة في مجراها الطبيعي دون انحراف أما الطهارة فهي الفضيلة التي تشمل قداسة الفكر وطهارة المشاعر وعفة السلوك .

فالإنسان الطاهر طاهر في حواسه وفي خلجات قلبه وفي أقوال فمه وفي نظرات عينيه وفي ملمسه وملبسه وأحاديثه وكل ما يتناول حياته الباطنية والخارجية أيضاً .

والطهارة هي فضيلة مسيحية من عمل الروح القدس في المؤمن ولكنها تحتاج إلى جهاد وسهر ويقظة قلب .

نحن لا نستطيع أن نجعل أنفسنا أطهاراً ولكننا نستطيع أن نجاهد لنحفظ طهارتنا التي يمنحنا إياها الرب يسوع باستحقاقات صليبه وعمل نعمته وفعل روحه القدوس .

والكنيسة في كل صلاة ترفعها في الساعة الثالثة تقول للروح القدس طهرنا من دنس الجسد والروح وانقلنا إلى سيرة روحانية لكي نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد .وتخاطب الرب يسوع قائلاً « نسألك أن تجدده في أحشائنا يارينا يسوع المسيح ابن الله الكلمة . روحاً مستقيماً ومحيياً ، روح النبوة والعفة ، روح القداسة

والعدالة والسلطة أيها القادر على كل شيء لأنك أنت هو ضياء نفوسنا » .

وكما كان الله ينزل ناراً من السماء على الذبيحة كعلامة لقبولها ، هكذا يعمل الروح القدس عندما يقبل جهاد الشاب الضعيف إذ يسكب عليه لهيباً مقدساً يطهره من الدنس ويضرم قلبه بلواعج الحب الإلهي الذي يشبع نفسه ويملأ فراغه الداخلي ويحل مشكلة العزلة والملل والسأم ، ويغمر قلبه بندى الروح الرطب فتنطفيء نيران الشهوة وتسكن حركات الجسد وتهدأ الأعضاء وتمتليء النفس فرحاً وسلاماً ونعيماً ..

الطهارة هي أنك عندما تتعامل مع الجنس الآخر فإنك تتعامل معهم كإخوة أحباء باحترام ونقاء دون إزالة للكلفة أو خدش للحياء ، وإنما بود وإعزاز كأعضاء معك في جسد المسيح أو في أسرة الإنسانية . ولكن إذا شعرت أن شخصاً منهم قد سرق اهتمامك وتفكيرك وخيالاتك حينئذ بنضج ووعي يكون لديك إمكانية الضبط لعواطفك وإتخاذ ما تراه مناسباً لتهدئة هذه المشاعر لأنك مقتنع أن هذا هو بداية الطريق المؤدي للزواج الذي أنت غير مهيأ له الآن . إنك تعرف قدر نفسك جيداً .

+ والطهارة هي النظرة المقدسة للجسد سواء جسدك أو جسد الآخر . فالطاهر هو الذي ينظر إلى كل أعضائه بالتكريم

كمكان يسكن فيه روح الله ، إنه لا يستغرق في الاستهواء بالجمال الجسدي للآخر لأنه يعرف أن الجمال باطل والحسن غش كما يقول سليمان الحكيم والجمال الحقيقي أعمق بكثير من تناسق الأعضاء والألوان .. إنه يقدر الجمال حقاً ولكنه لا يشتهيه أي لا يريد أن يمتلكه ويستهلكه بل إنه يقيِّم الآخرين كشخصيات لا كمجرد أجساد . فالجسد عنده هو الغلاف الخارجي ولكن الذي يشده بالأكثر هو ما يحويه هذا الغلاف من طباع ومفاهيم وقامة روحية وثقافية وفكر وإرادة وشخصية ..

+ الطهارة أيضاً هي الاستمتاع الإيجابي بطاقة الحب فيوجهها الله للعبادة والتسبيح وبالخدمة وحياة الشركة .. إنه لا يحتقر الجنس بكافة صوره ولا ينتقزز منه سواء ما يختص بالحياة الزوجية أو النظرة السليمة لأعضاء الجسد .

● لماذا أحيا طاهراً ؟

وقد تسأل يابني لماذا أحيا طاهراً بينما كثير من زملائي يعبثون ويملأون الدنيا ضحكاً ونكاتاً بذيئة ويتهامسون على النواصي بأحاديث وخبرات جنسية دنسة ويتبادلون القصص والمغامرات صادقة كانت أم كاذبة ملقين لأعينهم العنان للنظر إلى أجساد العابرات وممارسين كل عادة وحركة تعطيهم لذة ، ألا يعتبرونني غشيماً جاهلاً متخلفاً عندما لا أواكبهم المسير وأرفض المعاشرة ومتابعة الأحاديث والسلوك ؟ الواقع أن القضية مصيرية .. هي ليست مجرد كلام . هي قضية حياة أو موت ، أبدية أو هلاك ، إيمان أو إنحلال ، قداسة أو استهزاء ؛ تمايز وشهادة أو انجراف في التيار .

ولندرس فوائد حياة الطهارة باختصار .

+ الطهارة متطلب روحي

يؤمن الشاب المسيحي أن الرب يسوع قد قدس الطبيعة الإنسانية عندما اتحد بها وصار ملتزماً بها وراعياً لها ومدبراً لخلاصها .. وعندما صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه احتفظ بجسده الذي أخذه من الروح القدس والعذراء القديسة مريم وهكذا دخلت الطبيعة الإنسانية في أعماق اللاهوت كما أصبح الله في أعماق الإنسان . لقد أصبح الإنسان المختوم بالروح القدس في سر الميرون مكرساً للرب ، وجسد الإنسان المعمد بالماء والروح قد صار هيكلا للروح القدس ومسكناً للرب وعضواً في الكنيسة التي هي جسده السري ..

وفي هذا يقول الرسول بولس :

« ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أوراحكم التي هي لله (١كو ٦:١٩ــ٢٠) وفي موضع آخر يقول :

« ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح ، أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا » (١كو ٦:١٥) .

وإزاء كرامة أجسادنا إلى هذه الدرجة يناشد الرسول أهل رومية قائلاً « أسألكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية

مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية .. ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » (رو ١٢ : ١ــ٢) . ويقول الرسول بولس للمؤمنين في رومية عن تقديس أجسادهم « لنسلك بلياقة كما فى النهار ، لا بالبطر والسكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رو ١٣ : ٢ــ١٤) .

فالشاب المسيحي الذي أدرك قيمة كرامة جسده يحرص على أن يلبس الرب يسوع في الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة ولا يشاكل هذا الدهر ولا يسلك في طريق الأشرار وفي مجلس المستهزئين لا يجلس لأن ذهنه قد استنار وحياته قد تجددت وأصبح حريصاً على أن يرضى الرب في طرقه ويحفظ الوصية عن حب لذاك الذي مات لأجله وقام ..

فهل نحن نشابه أهل العالم في أهدافهم وطرقهم وألفاظهم وسلوكهم ؟ أم اننا فعلاً قد صرنا خليقة جديدة في الداخل والخارج معاً ؟!

+ الطهارة متطلب إنساني

يوضح لنا الكتاب المقدس أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله وهذه الصورة البهية قد تجسد المسيح ليعيدها إلينا بعد أن تشوهت بخطية آدم .. فالشاب المسيحي الذي يحيا طاهراً لا يحقق ما تتطلبه الوصية فقط وإنما يحقق حياته هو أولاً .. يصبح الإنسان كما يريده الرب . يحرص على أن تظهر هذه الصورة في حياته ويرفض أن يطمسها بالحياة الشهوانية والتصرفات الجسدانية . ويقول رجال علم النفس أن الشاب الطاهر تحيا غرائزه وتنمو في انسجام واتفاق وتكامل بعكس الشاب الشهواني إذ يسيطر عليه الانهماك في الملذات الجنسية ، الأمر الذي يجعل بقية الدوافع في خلل وارتباك . فالطهارة متطلب نفسي . لهذا نرى الشاب الطاهر حقيقة الذي لا يعاني كبتا أو قهرا يحيا في سلام ونضارة وفرح وسعاده وتخلو نفسيته من العقد النفسية والهموم والأحزان وتأنيب الضمير وأوجاع النفس المختلفة .

إن اللذة تقدم كطعم ، ولكن هل هذه اللذة تؤدي إلى الشبع الكامل والشعور بالاستقرار النفسي الحقيقي ؟! تأكد أن الله لا يريد لك سوى سعادتك وهو لم يخلق الجنس ليعذبك به وإنما ليستخدم في مجراه الإنساني السوي فتتمتع بكل طاقاتك . فلا تحاول أن تستعمل أجهزتك بطريقة غير تلك المخلوقة من أجلها ، حقاً إن حياة الطهارة تؤدي إلى السعادة النفسية فهي متطلب نفسي

وإنساني كما هي وصية إلهية وفضيلة روحية ، والطهارة تحمي الإنسان من الأمراض الجنسية وتحفظ نضارة الشبوبية ، ولذلك تجد وجه الشاب الطاهر يختلف تماماً عن وجه الساقط في بالوعة الشهوات الجنسية .. ورغم تقدم الطب في معالجة الأمراض لكن مازالت للنجاسة ضحايا كثيرة مثل أمراض الزهري والسيلان ، وإن أهمل علاجهما تكون عواقبهما وخيمة .

+ الطهارة متطلب اجتماعي :

يدّعي الشبان الشهوانيون أن الناس تقبل الإباحي وتقدره وتعتبره شخصية قادرة على التكيف مع المجتمع ، وهذا إدعاء باطل لأنه على قدر ما تمتدح « الشلة » الشاب الإباحي إلا أنهم في أعماقهم لا يحترمونه ، ويفضلون الشخص المؤدب الذي على خلق كريم . والناس لا تثق في المستهتر والإباحي والشهواني ، بل تخاف منه وتراقبه ولا تطمئن على أعراض الناس منه ، لأنه ذئب مفترس اعتاد الانقضاض لأجل طغيان الشهوة .

فالعفة متطلب إجتماعي على قدر ما هي متطلب روحي ونفسي وإنساني . وفي مجال الأسرة لا يثق الوالدان إلا في الشاب الطاهر لأنه إذ قد غلب ذاته يقدر أن يبذل نفسه لأجل الآخرين ، بعكس الشهواني تجده أنانياً لا يسعى إلا لمصلحته الخاصة فقط . وفي مجال الحياة الدراسية تعطى الطهارة نقاءً للفكر وصفاءً للذهن وتركيزاً

للذاكرة وهذه أسلحة هامة في التحصيل العلمي والتفوق الدراسي . ولكن ليس معنى هذا أن كل الشهوانيين يرسبون وكل الأطهار يتفوقون علمياً ، لأن هناك عوامل أخرى تتدخل في التحصيل والدراسة العلمية منها الذكاء الوراثي والقدرات العقلية ومدى قابلية الشاب لنوع الدراسة التي تخصص فيها .

صفوة القول أن حياة الطهارة والتعفف الجنسي إلتزام مسيحي وانسجام واتساق للأجهزة النفسية وحماية وصون لصحة الأبدان ، ثم هي أيضاً متطلب إجتماعي على أعلى مستوى .. العالم اليوم يحتاج إلى القدوة العملية .. الناس متعطشة أن ترى شباباً أطهاراً في وسط جيل ملتو ومعوج ، وفي زمان أيام شريرة تقترب سماتها من أواخر الدهور .

• كيف أحيا طاهراً ؟

هذا السؤال الذي يطرح نفسه بشدة .. كيف يمكن للشاب المسيحي أن يحفظ عفته وطهارة جسده ونقاوة فكره وقلبه ، والجو العام المحيط به ملوث بكل ما هو مثير للنجاسة ومشجع للسقوط ؟

الإجابة هي :

+ بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً ..
+ أسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . إقرعوا يفتح لكم ..
+ أرسل لكم الروح المعزي .. وهذا يأخذ مما لي ويخبركم ..

فباديء ذى بدء إن حياة المؤمن معجزة ، وبدون المعجزة لا يمكن تفسير الحياة المسيحية الطاهرة الحقة ... الله وحده هو القادر أن يصنع المعجزة ، ولكن للذين يطلبونه من كل قلوبهم ..

والروح القدس وحده هو الذي يمنح القوة ، ويعطي الإلهام ، ويهوّن المعاناة ، ويسند في الضيق ، ويحمي وقت التجربة ، ويقيم ويعزي ساعة السقوط ..

من هذا المنطلق تبدو أهمية الحياة الروحية .. إن يوحنا الدرجي يقول « العفة هى مقابلة عشق بعشق » أعني مواجهة العشق الجسدي بالحب الإلهي ؛ فأولئك الذين يشبعون ، ويتعزون بعمل النعمة هم وحدهم الذين يجدون للعزلة وللفراغ حلا وللشهوة سمواً وعلواً ..

ولنعطِ أضواءً على مقومات الحياة الداخلية وعلاقتها بحياة الطهارة والتعفف .

[١] ● الحياة الجديدة :

لا منفعة أن توضع رقعة جديدة على ثوب قديم ؛ ولا فائدة من جهود تبذل والقلب منقسم ؛ والنفس ميالة للشهوة ، وإتجاه الحياة الداخلي منجذب نحو العالم والأشياء التي في العالم .. أما الذين قدموا توبة صادقة فهؤلاء تحدث في قلوبهم ختانة تقطع غرلة محبة العالم وشهواته ، إذ يقول الكتاب « هوذا الكل قد صار جديداً » وفي موضع آخر يقول « تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » .

بدون التوبة بمعناها العميق تظل الحياة في صراع ، والقلب في انقسام ، والسقوط والقيام متكرر كل يوم ، معطياً للعدو الشماتة وزرع روح اليأس والانهزام ..

أما العزم الصادق على الحياة مع المسيح والجهاد الدؤوب للحفاظ على النعمة المعطاة بالروح ، فهذه هي وحدها التي تحمي الشاب من خطورة الانزلاق وهاوية السقوط .. ليس معنى هذا أن الحرب ستنتهي ، وليس معنى هذا أيضاً أن التجربة سوف لا تعرض ، بل وأحياناً تكون قاسية .. ولكن الذي نعنيه هو أن القلب

سيكره الخطيئة مهما عرضت ، وسيرفضها مهما ثقلت ، وسينهض من الكبوة إذا النفس عثرت . يشبّه الآباء القديسون الفارق بين التائب وغير التائب بالحمل والخنزير .. الحمل قد يعثر ولكنه سرعان ما ينفض التراب ويقوم من كبوته ولا يطيق الوحل على فروته ، تنعشه النظافة وتزيده صحة ووزناً . أما الخنزير فحتى لو عطرته بالعطور الغالية فإنه يجري وراء المزبلة ليأكل منها ويتقلب في مراغة الحمأة ..

طوبى للشاب الذي لمست قلبه محبة المسيح ، واكتوى فؤاده بلواعج الحب المقدس — إنه لا يطيق أن يدنس هيكله ، ولا يحتمل أن يغضب حبيبه مخالفا وصيته ..

[٢] • سر التوبة :

وتأتي بعد ذلك خطوة التوبة التي يسميها بعض الآباء معمودية ثانية أو امتداد للمعمودية . التوبة والإعتراف إفصاح عن كراهية القلب للخطيئة ، وإعلان عن الرغبة والعزم للسير وفقاً للحياة الجديدة ، والتزام بالطريق الضيق .. إنها تجعل الزناة بتوليين كما يقول الشيخ الروحاني . إنها تلقي عبء المتاعب وثقل الضمير ، لتستريح النفس في أحضان الأبوة .. إنها ترك لكورة الخنازير بلا رجعة ، وعودة إلى الأحضان الحانية ، وتمتع بالشركة مع القديسين في مائدة العجل المسمن .

إذا كان بعض الشباب لا يفيد من سر التوبة في هذه الأيام ، فإن هذا يرجع إلى عدم فهم الاعتراف بمعناه السليم ، أو النظرة إلى الاعتراف على أنه مجرد راحة نفسية فقط وخلاص من عذاب الضمير ، أو لأنه قد لا يوجد آباء إعتراف حاذقون كثيرون يعرفون كيف يقودون نفس التائب في الطريق بحكمة وإفراز وفطنة .. كما أنه يوجد بعض الشباب لا يهمه في الإعتراف إلا الحديث عن الخطيئة الجنسية دون أن يوضح أسباب السقوط ونوع الخيانة التي حدثت ، والفرص التي أعطتها النعمة للخلاص ولم يستفد منها ، ودون تركيز على الذات بعتوها وأنانيتها التي هي مصدر الداء لهذا النوع من الخطايا وغيرها الكثير .. لنذكر أنه بجانب دنس الجسد يوجد دنس الروح ، وهذه كلها تحتاج إلى توبة واعتراف . وطلب الروح ليخلصنا ويطهرنا منها ، لنكون آنية مقدسة وهياكل طاهرة وأعضاء حية في الجسد المقدس لتنفيذ مقاصد الآب السماوي .

[٣] • الافخارستيا :

لأن الله يعلم ضعف ونقص البشرية وعجزها عن أن تعمل الصلاح بدونه ، لهذا أعطانا جسده ودمه والأقدسين طعاماً روحياً ومناً سماوياً وحياة أبدية وغفراناً لخطايا كل من يتناول منه . نحن في الافخارستيا نشترك مع الله في موته وقيامته ، وكل من يثابر على التناول من المذبح المقدس ينال قوة لغلبة الذات والعالم والشيطان .

إنه الحياة الفائقة للطبيعة ، وكل من يتناول منه تائباً منسحقاً مؤمناً بقوة هذه العطية يغلب نواميس الطبيعة ، يعلو فوق غرائز الجسد وإلحاحاتها العنيفة ، تدب فيه روح الأبدية وتهون معاناة الجهاد ويفرح بتعزيات الروح التي تغنيه عن الملذات والجسديات .. إن سر الافخارستيا هو العصارة الآتية من الكرمة إلى الأغصان لتحييها وتقويها وتشددها وتخصبها وتنميها .. إشعياء النبي عندما مسته الجمرة الإلهية من على المذبح طهر للحال ، واستحق أن ينطق النبوءه ، وأما نحن فتدخل أحشاءنا هذه النار المقدسة لتطهرنا من كل دنس الجسد والروح ، ولتلهب فينا مشاعر الحب الإلهي والغيرة المقدسة والسهر الروحاني واللهفة في انتظار مجيء الرب في يقظة نفس وإمانة قلب .

[٤] • الصلاة بالروح :

الصلاة هي خدمة الملائكة .. وكل منَ يصلي بالروح والحق تتغير حياته ويتروحن . إنه يكون كالطائر المحلق في السماء لا تشده النوازع الجسدانية والأهواء الشهوانية . لهذا أوصانا الكتاب أن نصلي بلا انقطاع (١تس ٥:١٧) ، وأن نصلي كل حين ولا نمل (لو ١٨:١) ؛ فالصلاة المتواترة نعمة تقدس حياة الشاب وتجعله خليقة جديدة .. والصلاة تحمل مضمون الحوار مع روح التذلل . فيها نشكو وهو يتعطف ويتحنن ، فيها نعرض معاناتنا في اقتناء العفة

وهو يشير علينا بما يريح قلبنا ويهدىء نفوسنا ويهون معاناتنا ويقدس أجسادنا فتشبع النفس فرحاً وسلاماً وتهليلاً .. الصلاة حصن للمجاهدين ، تسقط حصون الشر وأسلحته الملتهبة . إنها قادرة أن تبطل شغب الجسم وحرارة الجسد .. إنها تسكب على حرارة الجسد ندى النعمة المرطب والملطف ، فيحيا الشاب متجاوزاً نوازع الغريزة متدعماً بقوة الإرادة متعزياً بعمل النعمة فرحاً بالرجاء حاملاً خوذة الخلاص ودرع البر وترس الإيمان ومنطقة الحق . إنه يحمل المعجزة حيثما ذهب وأينما تحرك لأن يمين الرب تسنده .

[٥] • فاعلية الإنجيل :

الرب نفسه يقول « الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » .. الكلمة لها فاعلية . « أنتم أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به » الكلمة تقدس الفكر والوجدان وأمضى من سيف ذي حدين ، كلما تمثلناها تغير الحياة هدفاً ومصيراً واتجاهاً .. كل الذين تمرسوا على طاعة الوصية عاشوا حياة العفة في سهولة ويسر .. المسيحي الحقيقي يصرخ في الصلاة والله يجيب ويتكلم في الكتاب المقدس ، والمؤمن المطيع يرهف السمع ويصغي بإنصات وخشوع لما يريده الله منه فيسرع لينفذ الوصية في حياته العملية شاهداً للحق في حياته الداخلية وبنيانه الروحي ، وفي حياته الخارجية وعلاقاته الاجتماعية .

إن تذوق حلاوة الكلمة يجعل شهوة الجسد مرة في أفواهنا وعلقماً في حلقنا .. إن تعزيات الروح من خلال الكلمة تجعل التلذذات الحسية جهالة وهلاكاً ولسعات أفاعي وحيّات مهلكة حارقة .

الصلة الخفية في المخدع بين الإنسان وإلهه هي سر الإيمان وأساس كل الفضائل . وبغير الصلاة لا ننال فضيلة العفة والطهارة . أما من يعاين الله في المخدع فهذا يعرف الحق ، والحق يحرره من كل شهوات الجسد والعالم .. إنه يصبح مقدساً في الحق .

والتسبيح هو أسمى أنواع الصلاة ، إنه تمجيد وتكريم لاسم الله العظيم القدوس المبارك . إننا به نسمو على غرائزنا وتتسامى طاقاتنا العاطفية إلى الحب الكامل والهيام في شخص العريس السماوي .. لذلك فوقفات الشاب في الكنيسة لصلاة التسبحة تشبع المشاعر وتنقي الأفكار وتهذب الجسد وتشيع روح العبادة والجو الملائكي السماوي الذي يطرد الشياطين ويبعد الأفكار الشريرة ويحفظ الحياة طاهرة بلا دنس .

[٦] ● الصوم المقبول :

الصوم علاج لمشكلة نهم البطن وتلذذ الحنجرة ، وتدعيم للإرادة الروحية لغلبة سيطرة أهواء الجسد .. الصوم رياضة روحية عظيمة

يعطي فرصة للروح أن تنطلق في العبادة بلا عائق . الصوم الإنقطاعي مع الصلاة والحياة الروحية الحقة يجعل الجسد شفافاً رقيقاً ويخفف إرتباط الإنسان بالأرض ويوجه اهتماماته إلى الأشياء التي لا ترى . به يدرك الإنسان ما قاله الرب على جبل التجربة « ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » .. وبالإنعماس في ملذات الطعام والشراب يصعب علينا إدراك خبز الحياة النازل من فوق الذي هو قوام الحياة الروحية . الصوم تدريب على طاعة الله واختبار إماتة شهوات الذات ، فيه خشوع وانسحاق ، وفيه زهد عن العالم وتوبة عن الخطايا .. وكلما ارتبط الصوم بالصلاة والسجدات والتذلل أمام الله يصبح فعالاً ولهيباً يحرق أشواك النجاسة والأفكار الشريرة والأفعال الهيولية .

ويلزم أن يمارس الصوم باعتدال وإفراز وتدرج ، وتحت قيادة أب روحي ملهم حتى لا تختل وظائف الجسد أو أن يكون هزيلاً غير ذي فاعليةٍ في ضبط حركاته وحسن قيادته .

بعض التداريب الروحية الهامة

(١) تدريب الحواس على الطهارة :

تجنب ياأخي كل ما يعثر عينيك وأذنيك .. وإذا وجدت صورة معثرة إلقها عنك جانباً ، ولا تقرأ كتاباً فيه موضوعات نجسة . واحذر من كافة وسائل الإعلام التي تعرض صوراً غير طاهرة . لا تقف في الطرق وزوايا الشوارع متطلعاً إلى المارة ، ولا تجلس في مقهى لهذا القصد السيء ، ولا تضع في منزلك صورة خليعة بل ضع صوراً دينية وطبيعية جميلة ، ولا تجعل نظرتك فاحصة تنقل إليك الشهوة الجنسية بل لتكن نظرتك عابرة وسريعة ، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً . كرر في صلاتك على الدوام وأنت في الطريق أو مكان العمل أو المنزل قول داود النبي « اردد عيني لئلا تعاينا الأباطيل » ، وقول أيوب البار « عهداً قطعت لعينيّ فكيف أتطلع إلى عذراء؟! » ..

(٢) تدريب محاربة الأفكار الشريرة :

لا يكفي فقط أن تحفظ حواسك من الشر ، بل جاهد أيضاً لمحاربة الأفكار الشريرة . لا تدع الفرصة لأفكارك أن تسرح وخيالك أن ينطلق في أجواء شريرة ، فإن كنت لا تذهب بقدميك إلى الخطيئة فانتبه أيضاً لكي لا تذهب بفكرك إليها . توقع أن

تحاربك الأفكار الشريرة طالما نحن في العالم ، ولكن درب نفسك على أن تطردها بعمل النعمة وفعل الإرادة الصادقة التي يعمل فيها الروح القدس . درب نفسك على تلاوة صلاة يسوع وبعض الترانيم المعزية فتهرب الأفكار النجسة كما تهرب الحشرات من النور الوهاج ..

وقد يعترض بعض أصدقائك قائلين : إن الهروب جبن ، ولكن الواقع أن هذا الهروب منتهى الشجاعة والصلابة لأنه مواجهة جريئة للإنسان العتيق الفاسد الذي في الداخل ـــ تذكر يوسف البار وكيف هرب من إمرأة فوطيفار فكان هروبه ملء الشجاعة والعفة . وقد يقول قائل : إن جرعات بسيطة من الخطيئة تقينا شرها كمن يأخذ عدوى بسيطة من الميكروب ليكتسب مناعة ضد نفس الميكروب . ولكن هذه مغالطة لأن الخطية موت ولو في أبسط صورها .. ومن يسمح لنفسه بجرعة صغيرة من الشر ينم عن رغبة كامنة في نفسه للشهوات ، هذه الطريقة تضعف إرادته وتسهل له السقوط « إنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) .

(٣) تدريب استخدام الطاقة فيما هو بنّاء :

الطاقة الجنسية كالكهرباء إما أن تحرق وتدمر ، أو تحرك

وتشغّل . إن الشاب الروحي يستخدم الغريزة فيما هو بنّاءً ، في كل عمل خلاق . إنه لا يدع نفسه فريسة لأوقات الفراغ ، بل يحرص على أداء خدمات روحية واجتماعية ووطنية وترويحية تعود عليه وعلى الكنيسة والوطن بكل الخير والفائدة .

ومن الأمثلة على ذلك :

+ الخدمة في التربية الكنسية والأنشطة الدينية المتنوعة التي تتفق مع مواهب الشخص .
+ الهوايات مثل الموسيقى والقراءة والفنون الجميلة والرحلات والمعسكرات وأشغال الإبرة والمعارض .
+ مشروعات خدمة البيئة مثل عمل حدائق وتنظيف ورصف الشوارع وخدمة الملاجيء ودور الإيواء .
+ القراءات الروحية والثقافية والفنية ، وهناك مكتبات كثيرة في كل الكنائس لخدمة الشبيبة وفي مجال الجنس وحياة الطهارة نذكر مراجع كثيرة باللغة العربية مثل حياة العفاف ، سر الحب ، المسيحية والجسد ، المسيحية والجنس ، أسئلة حول العفة ، إليك أيها الشاب ، ومطبوعات كثيرة متدفقة تخدم هذه القضية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

(٤) الرياضة النافعة للطهارة :

إن الرياضة تكسب الشاب فضائل عظمى ، فهى تعلمه التعاون والتنافس الشريف وتحمل المشاق ومواجهة الهزيمة وعدم الإستسلام لها . إنها تكسب الجسم القوة والنشاط ، وتبعده عن الخمول والكسل والتراخي والترهل .. إنها تستنفذ طاقة كثيرة زائدة وبذلك تخفف الضغط والتوتر الجنسي وتعطي الجسد نوعاً من الصفاء والاتزان ، كما أنها تحمى الجسد من كثير من الأمراض وتمنح الصحة والعافية . وهذه تشجع الشاب على تقدير الصحة والنظافة والاتزان واحترام طاقة الجسد وعدم تبديدها في عادات رديئة أو شهوات منحرفة ، على أنه يلزم أن نشير إلى أن هذه الرياضة الجسدية نافعة لقليل ، ولكن التقوى نافعة لكل شيء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة (١تي ٤:٨) .

إن جميع هذه التداريب إن لم تسندها النعمة وتؤازرها قوة الروح القدس وتمارسها إرادة طاهرة محبة للحق فإنها جميعاً تعجز عن تحقيق حياة الطهارة المرجوة . يقول داود النبي « إن لم يبن الرب البيت باطلاً تعب البناءون ، وإن لم يحرس الرب المدينة باطلاً سهر الحراس » .

صلاة ختامية

+ يارب أنت تعرف ضعفي ونقصي ، فبنعمتك اسندني وبقوتك آزرني وشددني ..

+ إن حاربت وانتصرت فقد يصيبني العجب والكبرياء فأسقط ، فإسمح أن تغطيني نعمتك لأعرف حقيقة نفسي ونجاسة قلبي وفساد طبيعتي .

+ وإن سقطت فقد تداهمني روح اليأس وصغر النفس ، ولكني أسرع إليك يامخلصي صارخاً قائلاً : اللهم التفت إلى معونتي يارب أسرع وأعني .

+ في كل الأحوال سربلني بثوب البر وغطني برداء العفة الذي يمنحه روحك لكل محبي إسمك '..

(+) رأسك المنحنية على الصليب شاخصة اليَّ ، فاعطني ألا أحول نظري عنك فأخلص .

(+) جنبك المطعون يضمّني ، وفيه ستر لي وحصن فلا تصيبني سهام العدو الطائشة وحروبه الملتهبة .

(+) بالمسامير التي سمرت بها سمر خوفك في لحمي وانقذ عقلي من طياشة الأعمال الهيولية والشهوات العالمية إلى تذكار أحكامك السمائية .

(+) ومريم العذراء القديسة أمك ومعها يوحنا والمريمات المخلصات يشفعن كل حين في ضعفي . اقبل يارب شفاعتهم كي أكمل مسيرة حياتي في قداسة وطهارة وبر .

كتب أخرى للمؤلف

أولاً ــ كتب ومراجع :

+ أسس التربية المسيحية — حـ ١ ، حـ ٢ (نفذ)
+ التربية المسيحية (مع الدكتور سليمان نسيم) — الطبعة الثانية (نفذ)
+ التدين السليم — الطبعة الثالثة (نفذ)
+ المسيحية والجسد — الطبعة الرابعة (نفذ)
+ حياة العفاف — الطبعة الرابعة (نفذ)
+ سر الحب — الطبعة الخامسة (تحت الطبع)
+ العبادة المقبولة (نفذ)
+ الخدمة في القرية
+ الشعور الديني في الطفولة والمراهقة
+ قضايا شبابية
+ الأعياد — جزء أول وجزء ثان
+ الجسد والجنس — طبعة ثالثة (نفذ)
+ الرؤية المسيحية للعمل (نفذ)
+ تأملات في إنجيل يوحنا (جزءان أول وثان) (نفذ)
+ الأسرة المسيحية (الطبعة الثالثة) (نفذ)

+ الليتورجيا ٣ أجزاء يعاد طبعه في مجموعة واحدة تحت عنوان [مسيح الكون كله]
+ القاب المسيح ووظائفه
+ دليل البحث في الكتاب المقدس
+ حياة الشركة
+ حياة الأنبا بيشوي الطبعة الثالثة (نفذ)
+ صوت الرب
+ صوماً روحانياً
+ مقتطفات للمراحل الثانوية طبعتها مكتبة المحبة عددها ١٣ كتيب (نفذ)
+ الروحانية الأرثوذكسية (مع توماس هوبكو) (نفذ)

ثانياً ــ كتيبات للشباب (أغلبها نفذ)

المحبة الطاهرة ــ الإيمان الحي ــ الرجاء ــ الصوم الكبير ــ كيف أمارس سر الإعتراف ــ المرشد للإعتراف ــ القيامة وحياتنا الروحية ــ القيامة ومشكلات الشباب ــ الناموس والنعمة ــ علامات الكنيسة ــ نريد أن نرى يسوع ــ السماء الثانية ــ ولم يحبوا حياتهم ــ الغيرة المقدسة ــ الحياة الإجتماعية ــ الحياة العائلية ــ المسيحية وبناء الشخصية ــ الميلاد الثاني ــ مجد وسلام ومسرة ــ يمين الرب

ثالثاً ــ مناهج الدين المسيحي لوزارة التربية (المرحلة الثانوية)

رابعاً ــ مناهج التربية الكنسية للمرحلتين الإعدادية والثانوية (تحت الطبع)

خامساً ــ نبذات للتوزيع مجاني
أين أنت ؟ ــ الآن ــ المسيحية التهاب ــ الاكتشاف الثالث

سادساً ــ مقالات شبه أسبوعية بإعداد الكرازة من عام ١٩٧٥ حتى ١٩٨١

سابعاً ــ عظات مسجلة على كاسيت أعدادها ضخمة ولكل المناسبات والقضايا ولها دليل خاص وتوزع بمطرانية ملوي

ثامناً ــ أبحاث باللغة الإنجليزية بقسم الدكتوراه بجامعة برنستون (غير مطبوعة)

1- Coptic Education for koinonia
2- Clement of alexandria
3- Methodology of preaching of John chrisostom.

يطلب من :
كنيسة السيدة العذراء بالفجالة